

﴿ الفصل الخامس ﴾

طبيعة المجتمع المسلم

وحاجاته ومطالبه

للدنيا والآخرة

## مفردات الفصل الخامس

### الحياة في التصور الإسلامي

ثانياً: الحياة الآخرة



- . الموت
- . البعث
- . الحشر
- . الحساب
- . الصراط
- . النار وأهلها
- . الجنة وأهلها

أولاً: الحياة الدنيا



٢) الحياة الثقافية والمعرفية

- . الثقافة والحضارة
- . التربية والتعليم
- . العلم والمعرفة
- . الفنون والآداب
- . الإعلام والإعلان
- . طبيعة المجتمع المصري

١) الحياة الاجتماعية

- . طبيعة المجتمع الإسلامي
- . مكونات المجتمع

معايير حكم الحياة في المجتمع الإسلامي:

- العلم
- العدل
- الحرية
- الشورى
- الوحدة
- الإحسان في العمل
- الجهاد في سبيل الله

- . موجهات القرآن للنظام السياسي
- . موجهات القرآن للنظام الاقتصادي
- . موجهات القرآن للنظام الاجتماعي
- . القرآن والتغير الاجتماعي

## مقدمة :

تحدث الباحث في الفصل الرابع عن القرآن الكريم وواقع دراسته في مرحلة التعليم الأساسي وسيتحدث في هذا الفصل ( الخامس ) عن طبيعة المجتمع المسلم وحاجاته ومطالبه ، وسيبدأ بالحديث عن الحياة في التصور الإسلامي ، وأنها دنيا وأخرة وأن الحياة الدنيا ، تشمل : الحياة الاجتماعية ، والحياة الثقافية والمعرفية ، وأن الحياة الاجتماعية يشمل الحديث عنها : مكونات المجتمع ، وطبيعة المجتمع الإسلامي ومعايير حكم الحياة في المجتمع الإسلامي : وهذه المعايير هي :

العلم - العدل - الحرية - الشورى - الوحدة - الإحسان في العمل - الجهاد في سبيل الله وأنواعه . مع توضيح مرجحات القرآن الكريم للنظام السياسي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام الاجتماعي . ثم القرآن والتغيير الاجتماعي .

وأما الحياة الثقافية والمعرفية فسيكون حديث الباحث عنها في المفردات الآتية :

الثقافة والحضارة ، والعلم والمعرفة ، والفنون والآداب . والإعلام والإعلان ، ثم التربية والتعليم .

وأما الحياة الآخرة فسيكون الحديث فيها عن طريق عرض منازل الآخرة وهي :

الموت - البعث - والحشر - والحساب - والصراط - والنار وأهلها ، ثم الجنة ونعيمها .

ومنهج العرض هو - كما سبق - تناول المفردة بما يوضحها ، ثم التوجيه القرآني . ثم اشتقاق المعيار المناسب .

أولاً: الحياة الدنيا:

طبيعة الحياة في التصور الإسلامي:

١- الحياة مخلوقة بقدر الله :

إن الحياة مخلوقة أنشأها الله بقدر ، وتمضي كذلك وفق قدر ، وهي مودعة خصائصها الذاتية التي تفرقها من الموت ، أعطاهها هذه الخصائص الذي أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى ، والذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، والذي يتوفى الأنفس حين موتها ، والذي خلق الموت والحياة . والذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، فالحياة ليست لها ! ليست قوة مدبرة في ذاتها تنشأ وتُنشئ وفق إرادتها المستقلة ! كذلك هي ليست تلقائية . وجدت صدقة ، وتمضي خبط عشواء ! قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ . . . ﴾ ( الملك : ١ ) .

كل الأحياء مما يدب على الأرض أمم منظمة :

كل ما يدب على الأرض من أحياء ، أمم ذات تنظيمات كأمة الإنسان ؛ فهي كلها من أصل واحد ؛ وهي كلها تخضع لتنظيمات . . . والخالق المدبر هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . وهو الذي أودع هذه الأمم فطرتها وضوابطها ، والإنسان هو قمة هذه المخلوقات ، وهي مسخرة له : الحيوان والطير والنسل . . . ولكنه إنما يرتفع إلى مقامه هذا باحتفاظه بسبب امتيازه ، وهو اتصال روحه بمصدر امتيازه . فإذا فارق هذا المقام صار أضل من الحيوان ! .

وهذه الحياة تقوم على قاعدة الزوجية :

كما تقوم الحياة على قاعدة النشأة من الماء ، وعلى قاعدة الأمم المنظمة . كذلك تقوم على قاعدة الزوجية التي لا تشمل الأحياء فقط ، ولكنها كذلك تشمل الأشياء . قال تعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ ( الذاريات : ٤٩ ) . وتقدير الزوجية هذا ، واشتغال الحياة على الضمانات التي تجدها وتكثرها عن طريق هذه الزوجية ، وتوافر الجسدين في كل نوع بالنسبة الكافية للبقاء والتكاثر دليل على القصد والتدبير ، يكرر القرآن الكريم ذكره ، وهو دليل لا يواجهه المنكرون إلا بالتحمل أو الهروب في كل حال .

#### والأحياء مكفولون برزق الله :

الأحياء مكفولون برزق الله ؛ قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ . وهم كذلك محاطون بعلم الله ورعايته ، قال تعالى : ﴿ . . . ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ . خاضعون لسلطان الله ، قال تعالى : ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ .

#### والأحياء كلهم في عبادة الله :

والأحياء كلهم في عبادة الله قال تعالى : ﴿ والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ ( النمل : ٤٩ ) وقال تعالى : ﴿ والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والأصال ﴾ ( الرعد : ١٥ ) .

#### في الحياة عوالم أخرى من الأحياء :

هنالك عوالم أخرى من الأحياء غير دواب الأرض التي تشمل الإنسان وهي عوالم أخبرنا الله بوجودها كالملائكة والجن والشياطين وإبليس ، والإنسان يتعامل مع هذه العوالم في الدنيا والآخرة<sup>١</sup> .

١- ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ حقيقة الحياة في التصور الإسلامي ، وأنها دنيا وآخرة ، وضرورة أن يقدم المحتوى لهم ما تتضح به هذه الحقائق .

#### الحياة الاجتماعية : طبيعة المجتمع الإسلامي :

##### مقدمة :

" المجتمع الإسلامي مجتمع من صنع شريعة خاصة جاءت من لدن إله حكيم خير . . . هذه الشريعة هي التي أوجدت هذا المجتمع ، وأقامته على أسسه التي أرادها الله لعباده ، وفي ظل هذه الشريعة تم نحو الجماعة الإسلامية ، ووجدت ارتباطات العمل ، والإنتاج ، والحكم . وقواعد الآداب الفردية والاجتماعية . ومبادئ السلوك ، وقوانين التعامل ، وسائر مقومات المجتمع الخاصة التي تحدد نوعه ، وترسم له طريق السير والتطور " .<sup>٢</sup>

#### مكونات المجتمع :

لقد فطر الله الإنسان على الاجتماع . ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : " الإنسان مادي بالطبع " ، " فليس

<sup>١</sup> انظر في هذا كله : سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي . ط ٢ . ص ٣٥٧-٣٥٩ . دار الشروق . القاهرة ١٩٨٧ م .

<sup>٢</sup> انظر . سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي ط ٩ ، دار الشروق . القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م . ص ٦٣ .

<sup>٣</sup> ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت . بدون تاريخ . ص ٤١ .

بوسع إنسان ما أن يعيش وحده ، أو ينفرد بنفسه انفراداً تاماً . وليس هناك حادثة نفسية واحدة يمكن أن تتم دون أن يكون لها صلة بأفراد المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان ، فكل حادثة نفسية لابد لها من مجال اجتماعي تتم فيه والعكس صحيح أيضاً . فكل حادثة اجتماعية لابد لها من أصل نفسي " ٤ .

ويقول مذكور : " إن الصلة قوية بين علم النفس وعلم الاجتماع . فعلم النفس يدرس خصائص الأفراد من حيث إنهم أفراد لهم سلوك . وهذه الخصائص . وذلك السلوك كل منهما لا يملك أن يتم إلا في محيط اجتماعي . أما علم الاجتماع فيدرس الصلات بين الأفراد من وجهة النظر الاجتماعية مع أخذ أسسها النفسية . ومعاييرها العقيدة في الاعتبار " ٥ .

وعناصر المجتمع أربعة هي :

العنصر الأول : هو الأفراد الذين يكونون الجماعة .

العنصر الثاني : هو ما ينشأ بالضرورة عن وجود الجماعة من الصلات بين أفرادها . فالمجتمع نسبي مكون من صلات اجتماعية .

العنصر الثالث : هو النظام . فالصلات الاجتماعية تنظيم وتنسيق وفق نظام غاية أن يضبط سلوك الجماعة ويوجهه ، وتتخذ الجماعة وسائل شتى لاحترام نظامها وتطبيقه ، ومهمة هذا النظام أن يطلق نشاط الأفراد في مجالات . ويحجسه عن مجالات أخرى ، وأن يضع لهم معايير للسلوك تقوم الأمور وفقاً لها ، فيحرم بعض الأمور . ويحل بعضها الآخر .

والعنصر الرابع : هو العقيدة ، وهي أعظم العناصر السابقة على الإطلاق ، وأكبرها خطراً وذلك لأنها تتحكم فيها كلها ، وتوجهها جميعاً الوجهة التي ترضاها ؛ فهي التي تحدد الصلات الاجتماعية . وهي التي توجد الشعور بالانتماء ، وهي التي ترسم نهج السلوك ، وهي التي تضع قواعد المجتمع ، وتقيم نظمته ، وتهدى إلى هُله . والعقيدة تتمثل في شريعة الله سبحانه - كما هي الحال في الإسلام . كما تتمثل في الفلسفات الوضعية . والنظريات السياسية والاقتصادية التي توجه السلوك والعمل في كثير من المجتمعات الأخرى .

٢ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف المرحلة - موضوع الدراسة - على أن يدرك تلاميذها مكونات المجتمع الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك لهم .

الشريعة الإسلامية هي التي صنعت المجتمع الإسلامي :

وشريعة الله المحكمة هي التي صنعت المجتمع المسلم وليس المجتمع المسلم هو الذي صنع الشريعة قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ ( المائدة : ٤٨ ) وقال تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ ( إبراهيم : ١ ) وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ ( الجمعة : ٢ ) .

٤ محمد أمين المصري : المجتمع الإسلامي . الكويت . دار الأرقم . ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ص ٨-٩ .

٥ حفي أحمد مدحور ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

أما المجتمعات غير الإسلامية فهي التي صنعت نظمها ، وشرعت لأنفسها ، ولذا لم يدم لها حال ، ولم يهدأ لها بال ، ولم تطب لها حياة . . .

يقول المذكور : " وإذا كانت الجماعات البشرية هي التي صنعت المجتمع غير الإسلامي ووضعت له القوانين والنظم ، فإن الشريعة الإسلامية ( الكتاب والسنة ) هي التي صنعت المجتمع الإسلامي . وحددت له نجاته ، ومقوماته ، وهي التي وجهته وطورته " .

وإذا كانت التشريعات البشرية بقوانينها الوضعية ليست أكثر من مجرد استجابة للحاجات الخلية والإقليمية الموقرة فإن الشريعة الإسلامية هي التي صنعت المجتمع الإسلامي <sup>٦</sup> . " كانت منهاجاً إلهياً لتطوير البشرية كلها ، وصاغتها صياغة معينة ، ودفعها إلى أوضاع يتم بها تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود . . . وكلمة انقضى الزمن ، وارتفعت درجة المعرفة البشرية كانت أقرب إلى تحقيق المجتمع المنشود " <sup>٧</sup> .

والمجتمعات البشرية التي لم تحكم الشريعة الإسلامية تنمو وتتغير نمواً وتغيراً غير مقيدتين بأصل ثابت ؛ ذلك لأن ثورها وتغيرها يتأثران بالواقع المتغير وغير المقيد بأصل ثابت ، أما المجتمع الإسلامي فإنه ينمو ويتجدد ولكنه محكوم في نموه وتجده بالشريعة الإسلامية الممثلة في الكتاب والسنة .

يقول المذكور " وإذا كانت المجتمعات البشرية في وسعها دائماً أن تنمو وتتغير وفق تشريعات متغيرة بالواقع المتغير ، وغير مقيدة بأصل ثابت ، فإن التشريع في المجتمع الإسلامي - ممثلاً في الفقه - خاصة فقه الماهات - كان دائماً محكوماً بأصل ثابت هو الشريعة الإسلامية ، ممثلة في الكتاب والسنة " <sup>٨</sup> .

وبذلك تقوم الشريعة دائماً مقام السياج الواقي الذي يسمح للمجتمع الإسلامي بالنمو والتجديد ولكن داخل هذا السياج ، ووفق مقومات أصيلة ثابتة ، وبذلك يظل الطابع الأميل للمجتمع الإسلامي واضحاً مبرهاً <sup>٩</sup> . والمجتمعات القائمة على تشريعات وضعية سرعان ما تتبدل نظمها وتتغير أحوالها ، ثم تنتهي . ولكن المجتمع الإسلامي الذي قام على النظام الرباني عاش وسيعيش إلى ما شاء الله له أن يعيش ؛ لأن الشريعة الإسلامية تحرس بقاءه .

يقول المذكور : " وإذا كانت المجتمعات القائمة على تشريعات وضعية تقوم فترة من الزمان ثم تنتهي ، فإن المجتمع الإسلامي الذي عاش أربعة عشر قرناً من الزمان ، سيعيش ، بل سيكون هو المجتمع المستقبلي ؛ لأن سياج الشريعة سيظل يحرس هذا المجتمع مهسا كانت قوة عوامل المقاومة والعداء " <sup>١٠</sup> .

والمجتمعات البشرية القائمة على النظم الوضعية تقوم على أساس الحدود الجغرافية . أما المجتمع الإسلامي فلا

<sup>٦</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي مرجع سابق . ص ١٨٩ .

<sup>٧</sup> سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي . مرجع سابق . ص ٦٣ .

<sup>٨</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق . ص ١٨٩ .

<sup>٩</sup> سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي . مرجع سابق . ص ٦٥ .

<sup>١٠</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق . ص ١٩٠ .

تحده الحدود الجغرافية ، وإنما تحده كلمة التوحيد ، فهو مفتوح لكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويطبق الشريعة التي أرسل الله سبحانه بها محمداً - صلى الله عليه وسلم - تلك الشريعة التي لا تعرف جنسا بعينه ولا لونا خاصا ، وإنما فتحت مجتمعا ليدخل فيه الناس كافة تحت ظلال توجيه الألوهية والربوبية . . . واتباع السنة النبوية ، وترسم التطبيق الذي تمثل به محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الأجلاء ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ( الأحزاب : ٢١ ) وتمثل به السابقون الأولون من أصحابه - رضي الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ ( التوبة : ١٠٠ ) .

يقول مذكور : " وإذا كانت المجتمعات البشرية القائمة على تشريعات ، وقوانين وضعية ومؤقتة ، هي مجتمعات محلية ، وقومية ، وعنصرية ، وقائمة على أساس الحدود الجغرافية ، فإن المجتمع الإسلامي هو مجتمع عالمي مفتوح لجميع بني الإنسان دون نظر إلى جنس أو لون أو لغة ، بل دون نظر إلى دين أو عقيدة فغير المسلمين يعيشون مع المسلمين في ظل المجتمع الإسلامي على أن هم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم " ١١ .

٣ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يتعرف تلاميذها على طبيعة النظم الاجتماعية الإسلامية التي تحكم المجتمع المسلم على وجه العموم وتميزه عن غيرها ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

#### معايير لحكم الحياة في المجتمع الإسلامي :

مقدمة : القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي هي أنه نظام رباني ، عالمي ، يقرم على أساس القواعد العامة ، والأصول الكلية لشريعة الله ، المنصوص عليها في كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن هذه القاعدة العريضة للنظام الاجتماعي الإسلامي ، تنبثق المعايير أو المقومات الرئيسية التي يعتمد عليها البناء الاجتماعي كله ، وتؤثر في كل خلاياه ، وجزئياته الداخلية ، وهذه المعايير أو المقومات هي : العلم ، والعدل ، والحرية ، والشورى ، والوحدة ، والإحسان في العمل ، والجهاد في سبيل الله ، وسيتناول الساحت هذه الأسس بالتفصيل فيما يلي :-

#### ١ - العلم :

العلم هو الصفة الأولى التي ميز الله بها آدم ، واختصه بها . فعلمه الأسماء كلها فظهر به فضله . واستطاع أن يخبر الملائكة بما لم يعلموا قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنتهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ ( البقرة : ٣١-٣٣ ) . والإسلام اهتم بالعلم الاهتمام الأوفى ، ولذا كانت أولى آيات القرآن الحكيم هي قول

الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ( العلق : ١ ) والقراءة مفتاح العلم ، ولذا جاءت الآيات بعدها منفضحة عن العلم الذي هو من ثمار القراءة ، فقال المولى - جل وعلا - : ﴿ خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ( العلق : ٢-٥ ) . والقرآن الكريم يشيد بفضل العلم وأثره في رفع درجات المتصف به ، ويسوي بينه وبين الإيمان في ذلك فيقول : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ( المجادلة : ١١ ) وهذا كله لأن العلم جعله الله - سبحانه وتعالى - هداية كاشفة للمصرب ، ونوراً تنضح به حقائق الأشياء ، العلم المقصود به وجه الله وهو الذي يذكر الإنسان بما فطره الله عليه من : العلم بالله الخالق البارئ المصور الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . والذي أخذ من بني آدم العهد على أنفسهم بمعرفتهم بالله خالقهم وعلمهم بأنه هو ربهم وإلههم الذي لا إله إلا هو وجعل ذلك فطرة فيهم ولقد شهدوا بذلك ، وسجل الله عليهم شهادتهم في القرآن الكريم حيث قال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ ، فمن فضل العلم أنه يبعد عن الإنسان الغفلة ، ويحيي فيه الوعي ، ويعيد إليه الإدراك ، يقول مذكور في ذلك : " أما كون العلم فطرة الله في الإنسان ، فهذا يمكن فهمه من القرآن في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ ( الأعراف : ١٧٢ ) . فالآية ترجع مسألة العلم بوحداية الله . والاعتراف ببريسته إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم وذات تكويتهم ، ولقد شهد الكيان البشري على نفسه بهذه الحقيقة ، وذلك بحكم وجوده ، فوجوده يعني هذه الحقيقة .

ويقول : " فإذا كان العلم بوحداية الله . والاعتراف ببريسته - وهما غاية كل علم - فطرة في الكيان البشري ، فإن تعلم كل العلوم القديمة والحديثة يجب أن تكون الغاية منه هي الحفاظ على فطرة الله في الإنسان ، وحتى الرسائل والكتب السماوية ما هي إلا تذكير وتحذير وتقويم لمن يحرفون عن فطرتهم الأولى ، فقد اقتضت حكمة الله ورحمته ألا يكفل الناس إلى أنفسهم ، فقد تنحرف عن الفطرة ، وألا يكلفهم إلى عقولهم فقد تضل ، وأن يعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ؛ ﴿ لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ( النساء : ١٦٥ )<sup>١٢</sup> ، هذا موقف القرآن الكريم من العلم ، فالقرآن يشجع على العلم ويحث عليه ويوضح منزلته ويعلي من شأن ذويه ، فيقول : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ( فاطر : ٢٨ ) ، ويقرن شهادة العلماء بشهادة الله - عز وجل - وشهادة الملائكة الكرام ، على وحداية الله - سبحانه - فيقول ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ( آل عمران : ١٨ ) . ويسجل القرآن الكريم آيات لا يدركها إلا العلماء فيقول في سورة الروم : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ ( الروم : ٢٢ ) ، ولهذا يقول القرضاوي فيما يورده مذكور<sup>١٣</sup> :

<sup>١٢</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في العصور الإسلامي : مرجع سابق . ص ١٩٣-١٩٤ .

<sup>١٣</sup> المرجع السابق : ص ١٩٢-١٩٣ .

" العلم شعار الإسلام ، وفطرة الله في الإنسان . فالإنسان هو خليفة الله في الأرض ليعمرها ويرقيها وفق منهج الله ، وهي منزلة اشرأبت لها أعناق الملائكة ، وتشوفت إليها نفوسهم ، فلم يعطوها ، ومنحها الله للإنسان " ١٤ .  
وما أبلغ تشجيع المولى - عز وجل - على العلم في قوله سبحانه لنبيه - صلى الله عليه وسلم - فيما يطرحه على أمته ، قرأنا يتلى ، وطلبا يرجى ، ونورا يهدي ، وتفضيلا يغوي بالاستجابة . ﴿ قل : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ( الزمر : ٩ ) .

ب - فرضية التعلم : والدين الإسلامي لا يكتفي بالتشجيع على تحصيل العلم على سبيل الاختيار بل نراه يفرض ذلك فرضا حيث يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالقراءة في قوله سبحانه : ﴿ اقرأ ﴾ كما تقدم ، وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فاقراءوا ما تيسر من القرآن ﴾ أمر لأمته صلى الله عليه وسلم ، ويقول صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ١٥ .

" والتربية الإسلامية بتقريرها مبدأ فرضية التعلم تعتبر الرائدة والسابقة بين النظم التربوية التي لم تصل إلى تقرير مبدأ " إلزامية التعليم " إلا منذ فترة وجيزة مع وجوب التسليم بأن الإلزام الصادر من " رب العالمين " يختلف الناس في مدى تطبيقه ، والحرص عليه من الإلزام الصادر من " سلطة بشرية " ، ولذا لا تنزال الأمم والشعوب تختلف في مدى تطبيق مبدأ " إلزامية التعليم " ١٦ .

ج - فرضية التعليم : مما لا شك فيه أنه لا تتحقق فرضية التعلم إلا بفرضية التعليم إذ إنه لا يتحقق تعلم بدون تعليم ، كما أنه لا يتحقق تعليم بدون تعلم ، ولهذا قررت التربية الإسلامية مبدأ " فرضية التعليم " لأنه هو السبيل إلى تنفيذ مبدأ " فرضية التعلم " ، والقاعدة " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " .

وإن التعلم والتعليم أمران متلازمان ، فينبغي أن يكون حكمهما واحداً ، أيضاً ولتحصيل كل متعلم مسئولية نشر مالهديه من علم ومعرفة ليسهم في القضاء على التخلف والامية ، وفي إخراج الناس من ظلام الجهل إلى نور العلم ، ولذا حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تقرر مبدأ " فرضية التعليم " ، منها قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ( التوبة : ١٢٢ ) .

يقول الضحاك : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل الأعذار . وكان إذا أقام وأسرى السرية ، لم يحل لهم أن يتطلقوا إلا بإذنه . وكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن ، وتلاه نبي الله - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه القاعدين معه ، فإذا رجعت السرية ، قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا ، فيقرئونهم ويفقهونهم في

١٤ يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام ، ط ٢ . القاهرة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨١ م . ص ٦٧ .

١٥ ابن عبد البر - جامع بيان العلم وفضله - ( القاهرة . دار الكتاب الحديثة ) . ١٩٧٥ م - ص ١ .

١٦ محب الدين أحمد أبو صالح وآخرون : أصول التربية الإسلامية . لطلاب السنة الثالثة لجميع الأقسام بكل الكليات - كلية

العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٤٠٥ هـ - ١٤٠٦ هـ . ص ١٩٧ .

الدين<sup>١٧</sup> .

ويرى الغزالي أن المراد بالإنذار هو التعليم والإرشاد<sup>١٨</sup> ، فالآية تبين وجوب تعليم الطائفة التي تفقهت في الدين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوامهم عندما يرجعون إليهم ، ومما يؤكد وجوب التعليم والتعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فأتى على طوائف من المسلمين خيرا ، ثم قال : ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يفقهون ، ولا يعظون ؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ، ويعظونهم . ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويفقهون ويعظون ، أو لأعاجلنهم العقوبة ، ثم نزل ، فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قال : الأشعرين ، هم قوم فتهاء ، وهم جيران حفاة من أهل المياه والأعراب ، فبلغ ذلك الأشعرين ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ، فقالوا : يا رسول الله ذكرت قوماً بخير ، وذكرتنا بشر ، فما بالناس ؟ فقال : ليعلمن قوم جيرانهم ، ليفقههم وليأمرهم ، ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويعظون ، ويفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا ، فقالوا يا رسول الله : أنفطن غيرنا ؟ فأعاد قوله عليهم ، وأعادوا قولهم : أنفطن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضا . فقالوا : أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة ، ليفقهوهم ويعلموهم . ويفظنوهم . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . . . ﴾<sup>١٩</sup> .

٤ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على موقف الإسلام من التعليم والتعلم في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح هذا الموقف .

النظام السياسي في التصور الإسلامي وموجهات القرآن فيه :

العدل :

ومما سبق يتضح أن وظيفة العلم هي بناء المجتمع الإنساني وترقيته ، لكن العلم إذا لم يكن مستندا إلى عدل الله . ينقلب إلى وسيلة للخراب والدمار للمجتمع البشري كله ! فالعدل إذن هو القيمة التي توجه غايات العلم نحو خير الإنسان والبشرية جميعا . " والعدل كما وضحه بعض الفقهاء والمفسرين هو تنفيذ حكم الله ، أي أن يحكم الناس وفقا لما جاءت به الشرائع السماوية " ، ولما كانت الشريعة الإسلامية هي كمال هذه الشرائع ، فإن العمل بها إذن هو تحقيق العدل الذي أمر الله به .

ويندرج تحت هذا المعنى العام للعدل معانيه الخاصة ومنها :

العدالة في الحكم وتوجيه القرآن في ذلك :

يقوم نظام الحكم في الإسلام على أربعة أسس : اختيار الحكومين للحكام . العدل من الحكام ، والطاعة من

<sup>١٧</sup> إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : دار المعرفة ، بيروت ، ج ٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . ص ٤٠١ .

<sup>١٨</sup> أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . المجلد الأول . بيروت . دار المعرفة للطباعة والنشر . بدون تاريخ . ص ٩ .

<sup>١٩</sup> الهيثمي : مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد ، ج ١ ، بيروت . دار الكتاب العربي . بدون تاريخ . ص ١٦٤ .

المحكومين . والشورى بين الحكام والمحكومين <sup>٢٠</sup> .

ويقول سيد قطب رحمه الله: "وتقوم سياسة الحكم في الإسلام، بعد التسليم بقاعدة الألوهية الواحدة، والحاكمية الواحدة على أساس العدل من الحكام، والطاعة من المحكومين، والشورى بين الحاكم والمحكومين، وهي خطوط أساسية كبيرة، تنفرع منها سائر الخطوط التي ترسم شكل الحكم وصورته <sup>٢١</sup> . والناس في مجتمعاتهم يتفقون ويختلفون تبعاً للتفاوت الفطري لديهم فمنهم من وهب معرفة الحق والميل إليه، ومنهم من طبع على الباطل والتعلق به، ومنهم من يرضى بالقليل ويحمد الله عليه، ومنهم من يطمح في الكثير ولا يأبه بأي وجه يحصل عليه... ومن هنا كان من الضرورة أن يكون لكل مجتمع حاكم يحكم بين أفرادها، يقر صاحب الحق على حقه ويمكنه منه، ويرد كل معتد عن اعتدائه، ويعود به إلى الصواب والرشد. ومن هذا المبدأ نرى توجيه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى إقامة الحكم بين المجتمع الإسلامي بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراكَ اللهُ﴾ (النساء: ١٠٥) والتعبير عن نزول الكتاب بالحق، وكون حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بين الناس بما أراه الله يفيد مدى اهتمام الشريعة الإسلامية بقضية الحكم بين أفراد المجتمع....

لمن يكون الحكم؟ ومن الذي ينفذ هذا الحكم؟ وما المصدر الأساسي لهذا الحكم؟ وعن السؤال الأول: نجد الإجابة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿... إن الحكم إلا لله، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف: ٤٠)، والذي ينفذ الحكم في الجماعة المحكومة: راعيها وولي أمرها والمسئول عنها أمام الله: رسولا مختارا مصطفى من الله لأمته كما نجد ذلك في قول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾ (المائدة: ٤٢). أو راعيا مختارا من المجتمع الذي يحكمه سواء كانت رعايته وولايته عامة أو خاصة، فمتى ولي الحكم بين الناس فعليه أن يحكم بالعدل ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به﴾ (النساء: ٥٨)، وهذه إجابة السؤال الثاني.

وعن السؤال الثالث: المتعلق بالمصدر الأساسي للحكم في الإسلام فنجد الإجابة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (النساء: ٥٩).

ولذا كان العدل من الحكام فرضاً لا يقوم الحكم الإسلامي إلا به، أكد ذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى...﴾ (المائدة: ٨). ونلاحظ في هذه الآية الكريمة ملحظاً دقيقاً هو أن العدل يجب أن يتحقق من الحكام بين المحكومين بينهم، لا يمنع ذلك مانع ما ولو كان ذلك المانع بعضاً أو عداوة بين الحاكمين والمحكومين بينهم، ومن ذلك قول الله سبحانه: ﴿إن الله يأمر بالعدل...﴾ (النحل: ٩٠). وقوله سبحانه: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ (الأنعام: ١٥٢).

<sup>٢٠</sup> علي أحمد مذكور: منهج التربية في التصور الإسلامي. مرجع سابق. ص ١٩٥.

<sup>٢١</sup> سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط ٥، دار الشروق، القاهرة ١٩٦٥، جواد حسني، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م، ص ١٠٥.

ويؤيد وجوب العدل في الحكم قول الإمام الرازي عند تعرضه لتفسير قوله سبحانه : ﴿إِنْ أَمَرَ اللَّهُ بِأَمْرٍ كَانَ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . . ﴾ ( النساء ٥٨ ) أجمعوا على أن من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل <sup>٢٢</sup> ، واستشهد بآيات كثيرة منها : ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ( ص : ٢٦ ) . ويقول : وهذه الآية الأخيرة تدل على أن العدل واجب حتى على الأنبياء <sup>٢٣</sup> . ويقول سيد قطب في هذا العدل : " فهذا العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه الحب والبغض ، ولا تغير قواعده المودة والشتان ، العدل الذي لا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ، ولا بالتباغض بين الأقرباء . فيتمتع به أفراد الأمة الإسلامية جميعا ، لا يفرق بينهم حسب ولا نسب ، ولا مال ولا جاه ، كما تتمتع به الأقرباء الأخرى ، ولو كان بينها وبين المسلمين شتان ، وتلك قمة في العدل لا يبلغها أي قانون دولي إلى هذه اللحظة ، ولا أي قانون داخلي . بل لا يقاربها كذلك <sup>٢٤</sup> .

٥ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي على أن يعرف التلاميذ أثر العدل في الحياة الاجتماعية ، وضرورة اختيار المحترى النصير القرآنية التي توضح لهم هذا الأثر .

#### الطاعة من المحكومين للحاكم وتوجيه القرآن في حكمها :

لاشك أن المجتمع الذي يحظى بنعمة الوفاق بين الحاكم والمحكومين على رضا الله والمسير على هدي شريعته يعيش عيشة راضية ، ولكي تتحقق هذه العيشة الراضية نجد أن القرآن الكريم طلب من الحاكم أن يسير في حكمه لرعيته على ضياء العدل الذي لا تنقصه محاباة الأقرباء ، ولا يخيف عليه شأن الأعداء كما تقدم الحديث عن ذلك ، وفي الوقت ذاته حث القرآن الكريم المحكومين على أن يطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر الذين يتفدون فيهم عدل الله سبحانه وتعالى إذ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ( النساء ٥٩ ) . وهذا الأمر يقتضي الوجوب ، فطاعة ولي الأمر واجبة ما دام أمره ونهيه محكومين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، يقول سيد قطب رحمه الله : والجمع في الآية بين الله والرسول وأولي الأمر لبيان طبيعة هذه الطاعة وحدودها ؛ فالطاعة لولي الأمر مستمدة من طاعة الله والرسول ؛ لأن ولي الأمر في الإسلام لا يطاع لذاته ، وإنما يطاع لإذعانه هو لسلطان الله واعترافه له بالحاكمية ثم لقيامه على شريعة الله ورسوله ومن اعترافه بحاكمية الله وحده ، ثم تنفيذه لهذه الشريعة يستمد حق الطاعة ، فإذا انحرف عن هذه أو تلك سقطت طاعته ، ولم يجب لأمره النفاذ ، يقول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة " ويقول : " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى " ، وواضح في هذا الحديث توقيت

<sup>٢٢</sup> فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب . ج ٣ ، ص ٣٥٥ .

<sup>٢٣</sup> علي أحمد مدكور : منهج التربية . مرجع سابق . ص ١٩٦ .

<sup>٢٤</sup> سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

السبع والطاعة بإقامة كتاب الله تعالى ؛ فليست هي الطاعة المطلقة لأوامر الحاكم . وليست هي الطاعة الدائمة ولو ترك شريعة الله ورسوله " ٢٥ .

ولهذا يجب على المحكومين أن يختاروا حاكمهم على الأسس الآتية :

أسس النظام السياسي في التصور الإسلامي وتوجيه القرآن فيها :

إن الذي يلي حكم المسلمين في الإسلام ذو شأن - وأي شأن - فمهمته في الحقيقة كما يقول ابن خلدون : " خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به " ٢٦ ، أو خلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال أبو بكر رضي الله عنه : " لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم " ٢٧ ، ولعظم حاجة المجتمع الإسلامي إليه كان تنصيبه واجبا ، يقول ابن خلدون في مقدمته : " ثم إن تنصيب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين " ٢٨ .

ثم يقول : وإذا تقرر أن هذا النصب واجب بإجماع فهو من فروض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ( النساء ٥٩ ) . ثم يقول وأما شروط هذا المنصب فأربعة : العلم - العدالة - الكفاية - وسلامة الخواص والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل . . . . .

وهذه الشروط هي التي ذكر ابن خلدون الإجماع عليها ٢٩ . وعلى هذا فالحاكم يختار ويباع من قبل المحكومين إذا توافرت فيه الشروط المذكورة وعلى أنه خليفة في تنفيذ أحكام الله ، ينفذها على أنها من عند الله وليست من عنده هو لخصوصية فيه .

ولذا يقول سيد قطب يرحمه الله : " ويجب أن نفرق بين قيام الحاكم بتنفيذ الشريعة الدينية ، وبين استمداده السلطان من صفة دينية لشخصه . فليست للحاكم سلطة دينية يتلقاها مباشرة من السماء ، كما كان لبعض الحكام في القديم في نوع الحكم المسمى ثيوقراطية ، إنما هو يصحح حاكمها باختيار المسلمين الكامل . وحريةهم المطلقة ، لا يقيدهم حاكم قبله ، ولا وراثته كذلك في أسرة . ثم يستمد سلطته بعد ذلك من قيامه بتنفيذ شريعة الله دون أن يدعي لنفسه حق التشريع ابتداء بسلطان ذاتي له ، فإذا لم يرضه المسلمون لم تقم له ولاية ، وإذا رضوه ثم ترك شريعة الله لم تكن له طاعة . ومن هنا ندرك حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في أنه لم يعين خليفته من بعده . إذ كان هذا مظنة أن يستمد خليفته سلطة دينية ذاتية من استخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم " ٣٠ .

٢٥ سيد قطب : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

٢٦ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، لبنان . ط ٦٠ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م . ص ١٩١ .

٢٧ المرجع السابق ، ص ١٩١ .

٢٨ المرجع السابق ، ص ١٩١ .

٢٩ ابن خلدون : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

٣٠ سيد قطب : العدالة الاجتماعية . مرجع سابق . ص ١٠٧ .

واختيار الحكام والولاية أمانة يجب الوفاء بحققها لله ثم للأمة ، فلا يجوز الاختيار المبني على تحيز ما .

٦ - ولذا ينبغي أن يعرف التلاميذ حقيقة النظام السياسي في التصور الإسلامي ، وضرورة أن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الكافية من موجّهات القرآن لهذا النظام .

### العدالة في نظام الأسرة وتوجيه القرآن في ذلك :

أ- عني الإسلام ببناء المجتمع المسلم بناء قريبا ، ويتأكد ذلك بعنايته ببناء الأسرة المسلمة لأنها اللبنة الأولى في تكوينه ، وحقق العدالة التامة بين الزوج والزوجة ، لأنه بالعدالة بينهما يتحقق الأمن والاستقرار النفسي . ولا يلج صدر كل منهما نحو الآخر إلا الحب والود والرحمة . . . . . وسارت العدالة في مسيرتها المنصفة مع تكوين الأسرة خطوة خطوة ، وتوضيح ذلك :

١- أن الإسلام أمر بالتدقيق في اختيار الزوجين ، كل منهما للآخر ، حتى يكون الزواج أدوم والأسرة الجديدة أكثر استقرارا . ومن ذلك مشروعية الخطبة والنظر بينهما ، جاء في كتاب العدة شرح العمدة : "ومن أراد خطبة امرأة فله النظر منها إلى ما يظهر منها عادة كوجهها وكفيها وقدميها" ، لما روى جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل" رواه أبو داود ٣١ .

٢- " وأن الإسلام اشترط الكفاءة بين الزوجين ، فوجود التكافؤ بينهما اجتماعيا على الأقل ضمان لاستمرار الأسرة ، وانعدامه يزعزع كيانها ، ويعرضها للانهدام " ٣٢ .  
عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تنكحوا النساء إلا الأكفاء ، ولا يزوجهن إلا الأولياء " .  
وقال عمر رضي الله عنه " لأمنعن فروج ذوي الأحساب إلا من الأكفاء " ٣٣ .

٣- " وأن الإسلام اشترط قيام الزوجية على الرضا التام ، مثلا ذلك في عقد الزواج الذي يجب أن يقوم على الرضا والقبول . فالزوج يطلب من زوجته أو من وكيلها إنشاء هذه العلاقة . وهي أو وكيلها يقبل ذلك " ٣٤ قال صاحب العدة : وليس لهم تزويج كبيرة إلا بإذنها ؛ لقوله عليه السلام : " الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُستأمر " ٣٥ .

ب- والنساء شقائق الرجال ، وهما من نفس واحدة ، ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ ( الأعراف : ١٨٩ ) ، ولا تعمّر الحياة إلا بهما معا : فلا غرابة أن يعمل المنهج الإسلامي على

<sup>٣١</sup> بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي : العدة . شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني . دار المعرفة بيروت لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٥٣٩ .

<sup>٣٢</sup> إبراهيم محمد الشافعي : التربية الإسلامية وطرق تدريسها ، مكتبة الفلاح . الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م - ص ٤٧ .

<sup>٣٣</sup> بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي : مرجع سابق ، ص ٣٦٦ .

<sup>٣٤</sup> إبراهيم الشافعي . مرجع سابق ، ص ٤٧ .

<sup>٣٥</sup> بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي - مرجع سابق - ص ٣٦٦ .

تحقيق العدالة بينهما فأودعهما قدرا مشتركا من : المودة والرحمة فقال سبحانه : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ( الروم : ٢١ ) .  
والطيبة والخبث : فقال سبحانه وتعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ ( النور : ٢٦ ) ، والشعور بالمستولية : يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهله وهو مسئول عنهم ، وامرأة الرجل راعية على مال زوجها وولدها وهي مسئلة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " ٣٦ ، وطلب منهما : النصح ؛ قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴾ ( التوبة : ٧١ ) ، والتعاون ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ ( المائدة : ٢ ) ، والتشاور ؛ قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ( الشورى : ٣٨ ) ، وحفظ أسرار الزوجية ؛ قال تعالى : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ ( النساء : ٣٤ ) .

وقال -صلى الله عليه وسلم- " إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها " ٣٧ .

وسوى بينهما في الجزاء . قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلننجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ ( النمل : ٩٧ ) .

وجعل الحقوق بينهما متبادلة : فمن حقوق الزوجة على زوجها :

النفقة : قال تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ ( النساء : ٣٤ ) ، والرفق والحنان المفهوم من المعروف في قوله سبحانه : ﴿ ولئن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ ( النساء : ١٩ ) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ . . . استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوانا عندكم ، لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ﴾ ٣٨ ، والعمل على وقايتها من النار برعاية دينها وأخلاقها . . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقد وهبنا للناس والحجارة ﴾ ( التحريم : ٦ ) . وقال تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . . ﴾ ( طه : ١٣٢ ) .  
ومن حق الزوج على زوجته ٣٩ :

٣٦ (إمام مالك بن أنس ، الموطأ ، ص ٣٤٣ .

٣٧ الإمام مسلم وأبو داود .

٣٨ محمد حميد الله : الوثائق السياسية ، دار الإرشاد ، ط ٣ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . ص ٣٠٨ .

٣٩ انظر : أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع ، ط ٧ ، دار القلم الكويت . ١٩٨٤ م . ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

١- أن ترعى زوجها ، فتكون سكنه وراحته . فلا يرى منها إلا ما يجب . قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ (الأعراف : ١٨٩) ، وسئل رسول الله ما خير النساء ؟ فقال : " خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك وولددك " <sup>٤٠</sup> .

٢- أن ترعى طاقته وقدرته في الإنفاق ، وتساعده بتدبير معاشه فقد نهى الله عن الإسراف والتبذير ، كما حرم البخل والتقتير ، وخير الأمور التوسط والعدل ، قال تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ (الفرقان : ٦٧) ، وقال سبحانه : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ (الإسراء : ٢٧) .

٣- أن تطيعه في نفسها وتحفظه في بيته ، قال - صلى الله عليه وسلم - " لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحدا ، ولا تعتزل فراشه . . ." .

ج - وعند اختلاف الزوجين :

١- عندما يختلف الزوجان لأمر ما اختلافاً من شأنه أن يهز كيان الأسرة فإن الدين الإسلامي يطلب - أولاً - تحكيم واحد من أهل الزوج وواحد من أهل الزوجة ؛ ضماناً للعدل والمساواة . وحفاظاً على سر الأسرة وتلافياً لظهورات أخرى ليست في صالحها ، قال تعالى : ﴿ وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها . . . ﴾ (النساء : ٥) .

٢- وعندما يعز على الحكيمين حل النزاع ، وتكون هناك أسباب قوية لفض علاقة الزوجية ، فإنه لا بأس من ذلك في نظر الدين ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته ﴾ (النساء : ١٣٠) .

٣- ولقد جعل الإسلام الطلاق أبغض الحلال ، حتى لا يقترب منه الزوج إلا في حالة الضرورة القصوى .

٤- وجعل الطلاق ثلاث مرات متدرجة في فصم العلاقة بين الزوجين ؛ جاء في العدة شرح العمدة : " ويملك الحر ثلاث تطليقات والعيد اثنتين . سواء كان تحته حرة أو أمة " روي ذلك عن عسر وابنه وجماعة من الصحابة ، ولأن الله سبحانه خاطب الرجال بالطلاق فكان حكمه معتبراً بهم ، لأن الطلاق خالص حق الزوج . . . " <sup>٤١</sup> .

ويقول الشافعي : " جعل الطلاق في يد الرجل . والرجل معروف بأنه يحكم عقله في تصرفاته ، والمرأة معروفة بغلبة العواطف عليها والانفعالات على تصرفاتها ، وموضوع خطير كالأسرة وضرورة بقائها ينبغي أن يحكمه العقل والتروي لا العواطف والانفعالات . . . . . "

وليس في هذا في الحقيقة إنقاص من قدر المرأة بل وضع للأمور في نصابها ، أو وضع الشخص المناسب في المكان المناسب . ولا يوجد إنسان كامل يصلح لكل عمل ووظيفة ، والحكمة معرفة ما يتميز به كل إنسان ، ثم وضعه حيث يستغل تميزه ، وليس إنقاصاً للشخص إبعاده عما لا يتميز به ؛ فالمرأة إذا كانت قد منعت من بعض الوظائف فإنها قد وضعت فيما يناسبها تشبهاً مع طبيعتها التي فطرها الله عليها ، وهي قد وكل إليها أهم وأخطر

<sup>٤٠</sup> رواه أحمد والنسائي .

<sup>٤١</sup> بهاء الدين المقدسي . مرجع سابق . ص ٤١٠ .

وظيفة اجتماعية ؛ ألا وهي تربية الجيل وتنشئته ، وهذه الوظيفة أنسب لها ؛ لأنها تحتاج إلى عطف وحنان ورقة وإرهاق حسي ، وهي جميعا عواطف ووجدانات تتوافر لديها أكثر مما تتوافر لدى الرجل<sup>٤٢</sup> ، ومن هنا نجد عدالة الإسلام الكاملة في تحديد العلاقة بين الزوجين ، وتوجيه كل منهما الوجهة التي تتناسب مع فطرته وتكوينه بحيث لو استجاب كل منهما إلى ما وجهه الإسلام إليه لكانت الأسرة في سعادة ، وكان المجتمع كذلك سعيدا ، والعكس صحيح .

د- ولقد وجه القرآن الرجل إلى السعي والإنفاق على أهله والعمل على حمايتهم . . فقال تعالى : ﴿ الرجل قوامون على النساء مما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ فالرجل جعلت له القوامة على المرأة بحكم الاستعداد والدربة فهذه الوظيفة بالإضافة إلى أنه المكلف بالإنفاق فهو حق مقابل تكليف ينتهي في حقيقته بالمساواة بين الحقوق والتكاليف في محيط الجنسين ومحيط الحياة .

يقول مذكور : " ولا شك أن ميدان إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني ، هو ميدان عمل المرأة بالدرجة الأولى ، ثم ينقل عن الشيخ محمد متولي الشعراوي مقارنته بين ميدان عمل المرأة هذا وبين ميدان عمل الرجل خارج البيت والتي يرى فيها الشيخ - كما ينقل مذكور - أن ميدان عمل المرأة أهم وأدق من ميدان عمل الرجل ؛ لأن الرجل - بحكم عمله خارج البيت - إنما يتعامل مع " أشياء " هي كلها مسخرة لخدمة الإنسان الذي هو أكرم ما في الوجود كله .

أما المرأة فمهمتها هي التعامل مع هذا المخلوق الراقى الكريم على الله وهو الإنسان ، فتعامل معه كزوج فيسكن إليها وتربته ، وتعامل معه جنينا في بطنها ، ووليدا في حضنها ، ورضيعا تطعمه وتحنو عليه ، وطفلا وصبيبا ، وشابا تربيه وترعاه وتضرب له المثل<sup>٤٣</sup> .

وترك كل من الزوجين الوجهة التي وجهه الإسلام إليها يؤدي إلى الشقاء ويذهب بصلاح المجتمع يقول العقاد : " فالمجتمع الذي يتزاحم فيه الرجال والنساء على عمل واحد في المصانع والأسواق لن يكون مجتمعا صالحا مستقيما على سواء الفطرة ، مستجمعا لأسباب الرضا والاستقرار بين بناته وبنيه ، لأنه مجتمع يبذل في جهوده تذيير السرف والخطل ، على غير طائل ، ويختل فيه نظام العمل والسوق كما يختل فيه نظام الأسرة والبيت . . .<sup>٤٤</sup> .

٧ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ حقيقة نظام الأسرة في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لهذا النظام .

ومن الترجيح القرآني في العدالة بين الرجل والمرأة :

العدالة ديننا ، قال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾ ( البقرة ٢٢١ ) .

<sup>٤٢</sup> إبراهيم محمد الشافعي : مرجع سابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

<sup>٤٣</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق . ص ٢٠٠-٢٠١ .

<sup>٤٤</sup> عباس العقاد : المرأة في القرآن ، ص ٤٦ .

العدالة في الحقوق ، قال تعالى : ﴿ ومن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ ( البقرة ٢٢٨ ) .

العدالة في المعاشرة ، قال تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ ( النساء : ١٩ ) .

العدالة في الكسب : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ ( النساء : ٣٢ ) .

العدالة في الصلح بينهما إذا اختصما : ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن

يصلحا بينهما صلحا ﴾ ( النساء ١٢٨ ) .

العدالة في الميراث : فهي تراث نصيبها الذي حدده الله لها منه كما يرث الرجل نصيبه الذي حدده الله لها منه ،

قال تعالى : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد

وصية يوصين بها أو دين ، ولن يرث ما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركتم من

بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ ( النساء : ١٢ ) .

٧ . العدالة في إرضاع المولود وأجر الأم المرضع والتشاور في فصال الرضيع ، قال تعالى : ﴿ والوالدات

يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف

نفس إلا وسعها ، لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادوا فصلاً عن تراض

منهما وتشاور فلا جناح عليهما . . ﴾ ( البقرة ٢٣٣ ) .

العدالة بين الفرد والمجتمع ، وموجهات القرآن للنظام الاجتماعي :

" كما أن الفرد كل له أجزاء فهو أيضا جزء من كل هو المجتمع ، وقد جسم الرسول صلى الله عليه وسلم

العلاقة بين الفرد والمجتمع في الحديث الشريف : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد

إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ( أخرجه الشيخان )<sup>٤٥</sup> ، والفرد هو اللبنة في تكوين

المجتمع ، والمجتمع هو مجموع الأفراد ، والإسلام عندما وضع نظمه وتشريعاته لم يكلف الإنسان إلا وسعته . ولم يغفل

في الوقت ذاته حاجات الجماعة ومصالحها وغايات الحياة العليا في الفرد والجماعة على توالي العصور والأجيال .

ولقد ربط الإسلام بين الفرد وجماعته برباط التقوى فقال : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم

رقيبا ﴾ ( النساء : ١ ) . " والرحم اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره " <sup>٤٦</sup> .

وقال الضحاك : " واتقوا الله الذي تعاقبون وتعاهدون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها"

قاله ابن عباس ومجاهد والحسن " <sup>٤٧</sup> .

كما ربط الإسلام بين أفراد المجتمع البشري كله فقال : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوبا وقبائل لتعارفوا . . ﴾ ( الحجرات : ١٣ ) .

<sup>٤٥</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق . ص ١٩٧ .

<sup>٤٦</sup> محمد بن أحمد القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة . دار الكتاب العربي . د . ت . ج ٥ . ص ٧ .

<sup>٤٧</sup> أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، دار الأندلس . ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . ج ٢ . ص ١٩٦ .

والمطلوب من المجتمع البشري بأفراده وجماعته أن يساهم في عسارة الكون وترقية الحياة فيه . والعدالة تقتضي ذلك ؛ كل يساهم بما وهبه الله وعلى قدر استطاعته . لأن ترقية الحياة في الكون تحتاج إلى الخبرات المتنوعة ، صناعة وزراعة وتجارة وطبا وقضاء . . . ، ولذا فالمجتمع لا يرتقي بل لا يصلح بخبرة واحدة . قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى . ﴾ ( المائدة : ٢ ) .

يقول مذكور : " ومن رحمة الله بالناس أن جعل لهم مواهب وميولا ومهارات واهتمامات مختلفة ومتعددة ؛ لأن حركة المجتمع تحتاج إلى هذا التنوع والاختلاف في الاهتمامات والمهارات والقدرات حتى تتكامل الحركة فيه ، فحركة الأجزاء في المجتمع الواحد كحركة الأعضاء في الجسد الواحد فلنكسر فرد مهمة . كما أن لكل عضو مهمة ، وتتكامل عمل الأعضاء يصلح الإنسان ويقوى وكذلك الحال في المجتمع " .

أما فيما يتصل بحركة كل فرد ونوعيتها ، وعلاقتها بغيرها داخل المجتمع فيصورها القرآن تصويراً دقيقاً في قوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ ( الزخرف : ٢٢ )<sup>٤٨</sup> .

ومن عدل الله سبحانه وتعالى الذي يظهر في هذه الآية : أن الدرجات المرهوبة من الله لعباده متنوعة بحيث يكون لكل بعض من الجماعة البشرية ما يحتاج إليه البعض الآخر منها ، فلا يستغني بعض عن بعض . ولا يستأثر بعض عن الآخر بكل درجات الرفعة ، وهذا عين العدل : فالطيب يحتاج إلى المزارع والمزارع يحتاج إلى المهندس والمهندس يحتاج إلى النجار والغني - مالا - يحتاج إلى الفقير في المال والقوي في العمل . . . وهكذا والمجتمع يحتاج إلى الجميع ... وما أصدق قول الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة  
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : إن أساس الرفعة ليس هو المال فقط ، فالصحيح أن كل فرد في المجتمع مرفوع مرة ، ومرفوع عليه مرة أخرى<sup>٤٩</sup> .

فالفرد في المجتمع مرفوع فيما يجيد وفيما يحسن ، ومرفوع عليه غيره فيما لا يجيده ولا يحسنه ، إذن فكل فرد فاضل في جهة ، ومفضل عليه في جهة أخرى ، والمفضل عليه يسخر الفاضل لخدمته . إذن فكل فرد في الكون مسخر لكل فرد ، وعلى هذا فلا يجب تفسير قوله تعالى : ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ على أساس أن الطبقة الأعلى تسخر الطبقة الأدنى . إن المجتمع الإسلامي مجتمع غير طبقي ، والقرآن دقيق في تعبيره ، فقوله تعالى : ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . . . ﴾ جعلك لاتستطيع أن تحدد البعض المرفوع ، ولا البعض المرفوع عليه ؛ لأن كلمة " بعض " مبهمه ، فكل بعض مرفوع ، وكل بعض مرفوع عليه . والاختلاف والنفقات إنما هو في قدر الدرجات في كل زاوية ، وفي كل علم ، وفي كل فن ، وفي كل مهارة ، فالفاضل مرفوع بقدر مهارته في العمل ، ودرجة اتقانه له .

<sup>٤٨</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

<sup>٤٩</sup> محمد متولي الشعراوي ، منهج التربية في الإسلام . القاهرة . دار المسلم . بدون تاريخ من ٣٦ .

وبذلك ينسجم المجتمع ولا يتصارع ، وإنما يتعاون ويتعاقد . فلو تساوى الناس في علم واحد ، أو فن واحد ، أو مهارة واحدة لتدافعوا ، وتصارعوا ، ولكن كلا منهم يحتاج إلى الآخر ، وعجز هذا تكمله قدرة ذلك ، وخير الناس أنفسهم للناس . وهذه من أجمل معاني العدالة <sup>٥٠</sup> .

٨ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ موجبات القرآن للنظام الاجتماعي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموجهة لهذا النظام .

#### الشورى بين الحكام والمحكومين وموجبات القرآن للنظام السياسي :

تقرير الإسلام مبدأ الشورى بين الحاكم والمحكومين دليل على احترام الإنسانية في الإنسان وأية ذلك أن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذ رأي الصحابة في كثير من الأمور ، وليس ذلك لخناء الحقيقة المناسبة على الله - سبحانه - فهو علام الغيوب ، وليس ذلك أيضا لأن الصحابة أعلم بالحقيقة المناسبة لهما يتشاورون فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما لأن مشاورة الرسول لأصحابه - بأمر من الله جل وعلا تعني أول ما تعني احترام الإنسانية في أولئك الأوصياء الذين سيكونون من بعد هداة لغيرهم : بكل ما علموه وتعلموه من الله ورسوله ؛ لهذا ولغيره - مما لا يعلمه إلا الله - قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ( آل عمران : ١٥٩ ) . ثم أتى الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه رضي الله عنهم بقوله : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ( الشورى : ٣٨ ) .

ويقول مذكور في ذلك : " والشورى بين الحكام والمحكومين هي الأساس الثالث لنظام الإسلام في الحكم قال تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ . فإن الإسلام دين ودولة ، ونظام كامل للحياة ، فقد كفل لأتباعه حريتهم السياسية ، وهي أن يكون لكل إنسان قادر الحق في الاشتراك في توجيه سياسة أمته ، ومراقبة السلطة فيها .

ويقول سيد قطب في المشورة بين الحكام والمحكومين بعد أن يورد النصين الكريمين : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فالشورى أصل من أصول الحياة في الإسلام ، وهي أوسع مدى من دائرة الحكم ؛ لأنها قاعدة حياة الأمة المسلمة كما تدل الآية <sup>٥١</sup> .

ولكن كيف تتم الشورى ؟ إن الدين الإسلامي الذي جعل الشورى أساسا من أسس نظام الحكم فيه لم يشأ أن يحدد لها نظاما خاصا ، وإنما ترك ذلك للأصالح من تجارب البشرية ، فهو دين اليسر ومراعاة مقتضى الأحوال في كيفية التطبيق .

يقول سيد قطب رحمه الله : " وإن الإسلام مثلا يجعل الشورى أساسا من أسس الحكم في الدولة الإسلامية ؛ فأما كيف تتحقق الشورى على الوجه الأمثل فهذا ما لم ينص عليه . . . ذلك متروك لظروف كل أمة وزمانها ومكانها ، وللتجارب البشرية التي تحقق الشورى على الوجه الأمثل وهكذا قضايا كثيرة ، مما لم يرد فيه نص يحدد طريقة

<sup>٥٠</sup> انظر : مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق . ص ٣٦-٣٧ .

<sup>٥١</sup> سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

التنفيذ ، ووسيلة التطبيق ، مما يحقق المرونة الكاملة للنظام الإسلامي ، مع بقائه محكوماً بالشريعة التي تكيف بها نشأته ووجوده " ٥٢ .

ومن الذين يستشارون ؟ إن يسر الدين الإسلامي ترك ذلك التحديد لما يتطلبه الأمر المستشار فيه ، فتارة يتطلب الموقف مشورة رجل بعينه لما له من خبرة بالموقف لا تتوافر في غيره ، وتارة يستشار لموقف آخر رجلاً ، وتارة يستشار أكثر من ذلك . . . ولذا يقول سيد قطب : " على أن الحركة الإسلامية في كل فترة تعين هي بطبيعتها أهل الشورى من أهل البلاء والسبق والرأي في يسر لا تعرفه الأنظمة البشرية " ٥٣ ومع ذلك نجد من يذكر لأهل الشورى هذه الخصائص : " والخصائص الأساسية لأهل الشورى هي : الإيمان والتقوى ، والعلم ، والمهبة والسعة والقدرة ، والخصائص التابعة هي : الصفات الفطرية ، والصفات الخلقية ، والصفات الخلقية ، وخصائص الممارسة هي : المبادرة الذاتية والخبرة والتجربة والموازنة العادلة " ٥٤ .

توجيه القرآن الكريم إلى خصائص أهل الشورى :

يقول سبحانه وتعالى في سورة الشورى : ﴿ فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ . وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . . . ﴾ ، يقول عدنان النحوي في فهمه هذه الآيات الكريمات : " فإذا أخذنا الكلمات الثلاث وحدها من هذه الآيات الكريمات : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ لنستدل على أهمية الشورى في الإسلام فإننا نكون قد فوتنا على أنفسنا بذلك معاني كثيرة وملامح أساسية جمعتها الآيات التي سبقتها ؛ وهذه الملامح والمعاني تتناسق فيما بينها ، وتتكامل مع بعضها حتى تبرز لنا صورة أقرب إلى الوضوح ، وأعمق في الدلالة ، وتضع الشورى في الموضع الذي أراد الله لها في منهاجه من خلال هذه الآيات . فالشورى هنا معنى ولفظاً ، لم ترد في مجال حكم محدود ، أو في ميدان ضيق ، ولكنها وردت في مجال التزبية والبناء ، في مجال إعداد الشخصية المؤمنة العاملة ، والنفس الصادقة الباذلة ، وكذلك في مجال إعداد المجتمع المؤمن والجماعة المؤمنة ، فتعرض الآيات الكريمات خصائص الجماعة المؤمنة في مجال العقيدة والإيمان ، والعمل والسعي ، والخلق والسلوك ، والطاعة والعبادة .

فإذا صحت هذه الصفات ، وصدقنا هذه السمات فإن هذه الجماعة تدور بينها الشورى بصورة طبيعية لا تكلف فيها ، وبصورة إيجابية مثمرة ، فتصبح هذه النفوس كريمة باذلة معطية منفقة في سبيل الله " ٥٥ .

ونستطيع أن نستنتج من هذه الآيات أهم خصائص ومميزات أهل الشورى :

التقويم السليم لمتاع الحياة الدنيا والرغبة فيما عند الله .

<sup>٥٢</sup> سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي ، ط ٩ . دار الشروق . القاهرة . ١٤١٣ . ١٩٩٣ م ص ١٤١ .

<sup>٥٣</sup> سيد قطب : العدالة الاجتماعية ، مرجع سابق ص ١٠٩ .

<sup>٥٤</sup> عدنان النحوي : ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية . دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع . السعودية . الدمام . ص ٥٧٢ .

<sup>٥٥</sup> عدنان النحوي : ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية . مرجع سابق ، ص ٢٢ .

الإيمان وحسن التوكل على الله .

اجتناب كبائر الإثم والفواحش والاتصاف بالطهر والنقاء .

العفو والسماحة عند الغضب .

الاستجابة لله إيماناً و يقيناً ، وعلماً ومعرفة .

الحفاظة على العبادات كلها والأداء لسائر التكاليف في حدود الاستطاعة .

٩ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أثر الشورى في الإسلام بين الحاكم والمحكومين ، وضرورة أن يقدم المحترى النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

#### الحرية وتوجيه القرآن فيها : -

طبيعة الحرية : لقد فطر الله الإنسان على الحرية ، فالحرية فطرة في الطبيعة الإنسانية وخلق الله الإنسان حراً ؛ لأنه جعله مسئولاً عن تنفيذ منهجه في الأرض الذي يسر له سبله بتسخير كل ما يحتاج إليه من الأرض ومن السماء ، قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ ( الجاثية : ١٣ ) واستخلفه في الأرض : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض . . ﴾ ( الأنعام : ١٦٥ ) . وترك له حرية العقيدة بعد أن عرفه به - سبحانه - عن طريق الآيات الكونية : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض . . ﴾ ( يوسف : ١٠٥ ) والآيات القرآنية : ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾ ( المقرة : ٢٥٢ ) - فقال سبحانه : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ( الكهف : ٣٩ ) .

وقال في حرية العمل : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ ( فصلت : ٤٠ ) . ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ( الزلزلة : ٨ ) .

والحرية تستتبع المسؤولية ، فالإنسان حر ؛ لأنه مسئول ومؤهلات المسؤولية تفضل الله بها على هذا الإنسان ؛ فأعطاه العقل المفكر ، وأرسل إليه الرسول المبشر والمنذر وأنزل إليه القرآن الهادي والمرشد . ومنّ عليه بالصحة والعافية . . . ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ ( إبراهيم : ٣٤ ) . لذا كان نشاط الإنسان المسلم كله حراً ، وهو كله عبادة لله طالما كان الاتجاه به إلى تحقيق الخلافة في الأرض وعمارتها حسب منهج الله القرآني .

والحرية غريزة غرزها الله في خلق الإنسان حين خلقه ، فلم تكن منحة يمنحها النظام الاجتماعي للإنسان ، أو يمنحها عنه .

يقول مذكور في ذلك : " ومعنى كون الحرية فطرة فطر الله الإنسان عليها أنها ليست مجرد منحة يمنحها النظام الاجتماعي للإنسان ، أو يمنحها عنه ، وإنما هي قيمة غريزية غرزها الله في خلق الإنسان حين خلقه ، ويعبر عن هذا المعنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " <sup>١٦</sup> ؟ والأحرمان من الحرية ، أو الانفلات في ممارستها يؤدي إلى الانحراف في العمل ، والهبوط في الخلق ، والتدهور في حال المجتمع كله .

<sup>١٦</sup> انظر في هذا وما بعده : علي أحمد مذكور : منهج التربية شي التصور الإسلامي . مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

### مظاهر الحرية في المجتمع الإسلامي : للحرية في الإسلام مظاهر متعددة منها :-

النصح والإرشاد وإبداء الرأي ، والأصل في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "الدين النصيحة " قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم " (رواد البخاري ومسلم) . ولقد تمثل الصحابة الأجلاء بذلك عملياً حيث قال الأعرابي لعمر رضي الله عنه الذي طلب من رعيته أن يُقَوِّمُوا اعوجاجه - إن رأوا فيه اعوجاجاً - وأعطاهم هذا الحق من فوق المنبر ، قال له الأعرابي على الغرور وبكل حزم : " والله لروجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيفنا " ، ولقد وجد عمر - رضي الله عنه - في هذه الحرية الشجاعة نعمة عظيمة عليه حيث أعطى للرعية حقها في الكلمة والعمل ؛ وعلى الرعية باستجابتها لقبول الحرية والعدل بمقتضاها فما وسعه إلا أن يحمد الله ويشي عليه ويشكره قائلاً : " الحمد لله الذي جعل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوم اعوجاج عمر بسيفه " .

وهناك حرية التملك والكسب عن طريق السبل المشروعة : ما دام المسلم يؤدي حق ماله فلا سبيل لأحد عليه ، والأصل في ذلك قول الله تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢) . ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ (النساء ٧) . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : " كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه . . . " ٥٧ .

وهناك حرية العمل والكسب في الأرض : الأرض جعلها الله ذلولاً للإنسان ، وقدر فيها أوقاتها وأعطى الإنسان الحرية لاستخراج ماله فيها من تلك الأوقات بالطرق المشروعة . قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً ، فامشوا في مناكبها ، واكلوا من رزقه ﴾ (الملك : ١٥) .

يقول المذكور : " فإذا كانت حرية المسلم في العمل والكسب مكفولة في أرض الله الواسعة . فإن ذلك مكفول له من باب أولى في كل أرض تحكم الإسلام في شئون حياتها ، لا يمنعه من ذلك حاكم ولا قانون ، ولا يحتاج إلى إذن ، أو رخصة... فأصرة العقيدة تعني الإنسان المسلم عن كل هذا " ٥٨ .

وهناك حرية التفكير والاختيار بين البدائل : وهذه أوسع الدوائر من حيث إنه لا إكراه لإنسان على دين ولا على عمل ولا على مرطن ولا على فكر محدد ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (البقرة : ٢٥٦) ، فالإسلام لا يفرض نفسه بالإكراه : أي إكراه ، فلا إكراه مادياً ولا إكراه معنوياً ، ولم الإكراه على شيء فطر عليه الناس ؟ فلا يطالب الإسلام المسلمين بأكثر من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (النحل : ١٢٥) . وأما الجهاد فهو لتبليغ فكرة الإسلام واضحة لغير المسلمين في أي مكان ، فلم يكن ولن يكون من مسلم يعرف دينه حق المعرفة أن يجبر إنساناً على الدخول في الإسلام ، وبعد وصول الفكرة الإسلامية إلى غير المسلمين ، ثم مطلق الحرية في أن يسلموا أو لا يسلموا

<sup>٥٧</sup> الإمام السيوطي . الجامع الصغير . ط ١ ، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية . ١٤١٠ . ١٩٩٠ م .

<sup>٥٨</sup> علي أحمد مشكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق ، ص ٢٠٩ .

، وإنما ليس لهم أن يمنعوا أو أن يعرفوا مسيرة كلمة الإسلام وتعاليمه إلى أرجاء الدنيا . ذلك أن الإسلام : تحقيقه والإيمان به ليس لبشر وإنما هو لله وحده . قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس: ١٠٠).

وكما أنه لا إكراه على دين فإنه لا إكراه على عمل ، حتى تتسوع الأعمال وتتكامل الخبرات ويكون البعض مستخراً للبعض ، فيتم التعاون الذي يحقق العمارة المنشورة في الكون ولا إكراه لإنسان على موطن بعينه ، وإنما الأرض لله ، والإنسان مخلوق لله فيها ومصروح له من الخالق أن يمشى في مناكبها ويضرب ويهاجر فيها زارعا أو صانعا أو تاجرا أو مجاهدا : ﴿ فامشوا في مناكبها . . ﴾ (الملك : ١٥) ، ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبيلا فجاجا ﴾ (نوح : ١٩ ، ٢٠) .

وحتى التفكير لدى الإنسان : فيه منتهى الحرية ، حتى يكون الإنسان بفكره ومحض إرادته مختارا لما يحبه ويرضاه لنفسه في حياته : دينا وعملا وموطنا . . . وعلى هذه الحرية وتناجها والتصرف على هديها يكون الحساب والجزاء من الله الذي يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ ، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ (يونس : ٩٨ ، ٩٩) ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (هود : ١١٨ ، ١١٩) ، وما ذلك إلا لأن الله وفي بعدله وإحسانه للإنسان بحيث لا يكون له على الله حجة وإنما لتكون الحجة من الله على الناس ؛ فالله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأمهده بالعقل وأنزل إليه الكتب وأرسل إليه الرسل وسخر له الكون وعرفه به - سبحانه - بكل وسائل المعرفة ، وقال له : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (الزمر ٦٦) ، فإن عبد الله وشكره ﴿ فله جزاء الحسنى ﴾ (الكهف : ٨٨) . ﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾ (آل عمران ١٤٤) وإلا : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يُرى . ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ﴾ (النجم : ٣٨ - ٤١) .

ولذا يقول مذكور : " والإسلام يسير في هذا مع مقتضى فكرته عن فطرة الإنسان على الإيمان بالله وحده ، فالإنسان غير المسلم الذي تصل إليه فكرة الإسلام واضحة جلية دون ضغوط ، أو حصار ، أو رفض قائم على مقدرات سابقة ، لا بد أن يعود إلى فطرته السليمة التي فطر الله الناس عليها ، لكن الإسلام يريد أن يعود إلى الله بإرادته الحرة الواعية . .

فهذا هو الطريق الوحيد الذي يسترجب المستولية<sup>٥٩</sup> .

١٠ - لذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ مظاهر الحرية في الإسلام ، وضرورة أن يقدم المختوى لهم النصوص القرآنية التي توضح لهم مظاهر هذه الحرية في الحياة .

<sup>٥٩</sup> علي أحمد مدكور ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

### الوحدة :

الوحدة بين أفراد المجتمع تؤدي إلى تحقق القرة له ؛ ولذا أمر بها القرآن فقال : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ( آل عمران ١٠٣ ) وجعل للوحدة مظاهر وروابط .

### من مظاهر الوحدة في الإسلام :

لقد شرع الإسلام للاتحاد مظاهر كثيرة وأسبابا عديدة ؛ فمن ذلك : أنه أوجب الجماعة في الصلاة وأثاب المصلين في جماعة أضعافا مضاعفة ، بل جعل بعض الصلوات لا يتبل إلا في جماعة كصلاة الجمعة وفي هذا يقول الشافعي : " وبالنسبة لكثرة عدد المجتمعين من المسلمين فنلاحظ أن الصلاة في جماعة أفضل بكثير جدا من صلاة الفرد ، وأنه كلما كان عدد المصلين أكبر كان ثوابهم أكبر ، وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد النبوي ، وفي المسجد النبوي أفضل من المسجد الأقصى ، وفي هذا دعوة إلى الصلاة في هذه المساجد ، وإذا تم هذا فسيكون العدد كبيرا جدا ، والحج أكبر تجمع إسلامي وهكذا نلاحظ حرص الإسلام وتشجيعه على أن يجتمع المسلمون بأكثر عدد منهم ، وهذا من شأنه تقوية المجتمع <sup>١٠</sup> .

### الرابطة الأساسية للوحدة في الإسلام :

والوحدة تحتاج إلى روابط تحققها ، ولقد جعل الله سبحانه وتعالى من أوائل هذه الروابط بين البشر رابطة العقيدة التي تقوم على معرفة الله سبحانه وتوحيده والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ ( الأعراف : ١٧٢ ) ، فهذه الرابطة أقوى من رابطة النسب التي يقول الله فيها : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ ( النساء : ١ ) . وأقوى من رابطة الأرض والوطن والجنس . الخ ، وفي ذلك يقول الشافعي : " وفيما يتعلق بالروابط بين الأفراد فإن الدين الإسلامي في حد ذاته رابطة من أشد الروابط وأقواها ؛ لأنه عاطفة من أغلى العواطف وأعزها ، وعقيدة من أقوى العقائد تمكنا من النفس ، وبمجرد أن يعرف المسلم أن غيره مسلم كذلك فإنهما يقتربان من بعضهما ويتألفان ويتحابان ، وخاصة إذا التقيا في مجتمع غير مسلم " .

والدين الإسلامي أقوى من غيره من الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع كاللغة والوطن والجنس مثلا بل أقوى أحيانا من رابطة القرابة ، ويستدل بانفصال الباكستانيين عن الهند تمسكا بدينهم الإسلامي . ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ ( المجادلة : ٢٢ ) .

والدين الإسلامي كرابطة يستدعي وجود روابط أخرى كالفكر المشترك والمصالح المشتركة والتاريخ المشترك ، وقد يؤدي إلى وحدة اللغة فتصبح رابطة قوية أخرى ، وكذلك يؤدي إلى إيجاد الأخوة في الله والوحدة في الوطن

<sup>١٠</sup> إبراهيم محمد الشافعي : التربية الإسلامية وطرق تدريسها . مرجع سابق ، ص ٤٣ .

الإسلامي ، وغير ذلك من الروابط التي يوحدها الدين الإسلامي بين المسلمين <sup>١١</sup> .

ومن التوجيه القرآني في ذلك :

شرع الله سبحانه وتعالى هذه الأمة أسباب الوحدة من صلاة وصيام وزكاة وحج . . . بل وجهاد ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (الصف : ٤) . ويجعل الإيمان الأساس الأكيد في تحقيق الأخوة فيقول : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : ١٠) . ويقول سبحانه في تجمع الوحدة في حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (التوبة : ٢٤) ، فالوحدة إذا لم تكن رابطتها حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله فهي وحدة فاسدة يحاربها الله وينذر ذويها من التحلوا بروابط الأبوة أو البنوة أو الأخوة أو الزوجية أو العشيرة أو المال أو التجارة أو المساكن بانقطاع عن دين الله وعقيدة رسوله صلى الله عليه وسلم ينذرهم بانزال أمره بهم بما يستحقون . وفي ذلك يقول مذكور : " . . . المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد المتحضر ؛ لأن العقيدة - وحدها - تمثل رابطة التجمع الأساسية فيه ، فالعقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، والعربي والفارسي والرومي والحيثي ، فسائر أجناس الأرض يجتمعون في أمة واحدة ربها واحد ، ومنهجها واحد ، لأنه من الله ، والأتقى فيها هو الأكرم عند الله ، وبذلك فإن جنسية المسلم هي عقيدته التي تجعله عضواً في " الأمة الإسلامية " <sup>١٢</sup> ، بل إن عقيدة التوحيد لتتجمع الموحدين كلهم في أمة واحدة من أول البشرية إلى آخرها ، قال تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

١١ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أثر الوحدة بين المسلمين في الحياة ، وضرورة أن يقدم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح للتلاميذ هذا الأثر .

#### النظام الاقتصادي في التصور الإسلامي وموجهات القرآن فيه :

مقدمة : المال عصب الحياة ، والعمل للحصول عليه من حلال عبادة ، والتصرف فيه بحكمة طاعة ، فما

موقف القرآن من ذلك ؟

#### موقف القرآن من السياسة الاقتصادية :

يرعى القرآن الكريم توجيه الأمة الإسلامية إلى السياسة الاقتصادية الرشيدة فيوضح أن أرزاق المخلوقات كلها من عند الله فيقول : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (هود : ٦) . كما يقول : ﴿ . . . وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . . . ﴾ (الأعراف : ٣) ، ويوجهنا إلى التوسط في ذلك بقوله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ (الفرقان : ٦٧) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ (الإسراء : ٢٩) ، كما يوضح لنا أن المال وإن حصلنا عليه من الطرق

<sup>١١</sup> إبراهيم محمد الشافعي : المرجع سابق ، ص ٤٣ . ٤٤ .

<sup>١٢</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥ .

المشروعة له فإنه مال الله ، يقول سبحانه : ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ (النور : ٣٣) كما يوضح لنا جل وعلا أن المال يتقل بالاستخلاف ولا يدوم لمخلوق ما ، ولذا قال سبحانه : ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ (الحديد : ٧) . والله سبحانه وتعالى عمل على عدم تكديس الأموال بين أيدي الأغنياء وحرمان الفقراء منه فقال : ﴿ ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . . ﴾ (الحشر : ٧) .

#### أسس العدالة في السياسة الاقتصادية :

١- المال مال الله . ٢- كراهية حبس المال في يد فئة قليلة من الناس . ٣- الملكية الفردية .

ولذا يقول مذكور في ذلك : " تقوم العدالة في السياسة الاقتصادية في الإسلام على ثلاثة أسس :

أولا : - أن المال مال الله ، والناس مستخلفون فيه . ويستدل بالآية : ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ .

ثانيا : - كراهية أن يحبس المال في أيدي فئة قليلة من الناس يتداول بينهم . بينما يمنع عن الآخرين ، ويستدل بالآية الكريمة : ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ .

إن الإسلام قد أجاز للحاكم بشريعة الله أن يأخذ بعض المال من الأغنياء ويملكه للفقراء ، وذلك عندما يرى أن المجتمع قد اختل توازنه بظهور آفة الغنى إلى حد الترف الشديد في جانب ، والفقر المدقع في جانب آخر . وهذا ما فعله الرسول صلي الله عليه وسلم حين أعطي فيء بني النضير كله للمهاجرين ، ومن أجل منع المال من أن يحبس في أيدي فئة قليلة لجأ الإسلام إلى وسائل أهمها : الزكاة والإرث والصدقات والمال العام أو الملكية العامة وتربية الضمير الإنساني .

ثالثا : الملكية الفردية : فالمال مال الله ، والناس مستخلفون في ملكية التصرف فيه والانتفاع به ، لكنه التصرف والانتفاع الذي لا يصل إلى السفه ، والناس يملكون المال بالعمل والكسب قال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢) . وبالإرث ، قال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ؛ وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ (النساء : ٧) .

١٢- ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ كيفية التصرف في أموالهم في ضوء الاقتصاد الإسلامي، وضرورة أن يقدم محتوي أحكام القرآن الكريم في ذلك لهم.

#### الإحسان في العمل - وتوجيه القرآن فيه :-

بالعمل تتحقق العزة ، وبالعامل تشاد صروح الحياة ، وبالعامل يقوى الإنسان على تحقيق ما قصد من استخلافه في الأرض ، وبالعامل يدحض الحق الباطل ، وبالعامل تتحقق الأمانى وإذا اقترن بالعمل إيمان وإخلاص تتحقق السعادة في الدنيا والآخرة ، ولذا كان العمل معيارا من معايير حكم الحياة والسيطرة على مقاليدها ، والإمساك بزمام قيادتها قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونى لا يشركون بي شيئا ﴾ (النور : ٥٥) .

والعمل المبني على الإيمان مفتاح لأسباب الرزق . ودليل على الفهم الصحيح لوجود الإنسان في هذا الكون ، ولذا فهو الوسيلة الأولى للتملك بعد الميراث ، وليس للعمل سبيل واحد يسلكه الإنسان دون غيره ، وإنما للإنسان أن يعمل زارعا أو تاجرا أو صانعا أو معلما . . ولا مانع من عمل ما إلا أن يكون فيه ضرر للآخرين ، أو على خلاف مع ما شرع الله ورسوله ولذا جاء قول الله سبحانه: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ حاثا على العمل - أي عمل - خاليا من أي قيد ، اللهم إلا أنه يجب أن يكون على وفق شريعة الله : ﴿فسيرى الله عملكم﴾ وشريعة رسوله : ﴿ورسوله﴾ وموافقا للمنهج الإيماني الذي يسير عليه المؤمنون : ﴿والمؤمنون﴾ فعطف الرسول على الله يقتضى وجوب موافقة العمل للكتاب والسنة ، وعطف المؤمنين على الله والرسول يقتضى أن يكون العمل موافقا لمنهج أهل السنة . ولذا حذر الله سبحانه وتعالى من أن يكون العمل خلاف ذلك فقال محذرا ومهددا من يخرج بعمله على هذا النسق فقال: ﴿ثم تردون إلى عالم العيب والشهادة فينكبكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: ١٠٥) .

وكان العمل سبب العزة في الدنيا لأنه يمنع من مده اليد إلى الغير ، ومن إراقه ماء الوجه أمام الآخرين ، والمسلم يجب أن يكون عزيزا ، ويجب أن يكون كريما على نفسه كما هو كريم على الله ، ولذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحب العبد المؤمن الخنزف " ( ذكره القرطبي ) ويقول : " ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده " ( رواه البخاري ) . والعمل فرق أنه من أسباب عزة الإنسان فهو سبب من أسباب القوة الجسدية والعقلية ، وليس العمل في أرض الله مستصعبا ، فالله خالق الإنسان هو الذي سخر له الكون وأدانه بالخضوع له ؛ قال تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ ( الجاثية : ١٣ ) ، ولذا يبحث الله الناس على المشي في مناكب الأرض والأكل من رزقه الذي خلقه الله ، ولكنه جعل المشي سببا للحصول عليه : ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ ( الملك : ١٥ ) .

١٣ - لذا ينبغي أن يعرف التلاميذ حقيقة النظام الاقتصادي في التصور الإسلامي وموجهات القرآن له ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

#### العمل ومفهوم العبادة :

إن العمل إذا خلصت فيه النية ووافق توجيهه الله فيه فإنه يكون من أرقى أنواع العبادة ، ولذلك كان الجهاد وهو من أشق أنواع العمل سببا لرفع الدرجات ، قال الله تعالى : ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما﴾ .  
والعمل في الإسلام يشمل متطلبات الحياة الدنيا ومتطلبات الآخرة فعلى الإنسان أن يعمل لديناه وأن يعمل لأخراه وهو مثاب في كلتا الحالتين ما صحت نيته ووافقت توجيهه الله في هذا العمل ، قال الله تعالى : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ ( القصص : ٧٧ ) . ولذا يقول مذكور : " وليس المراد بالعمل على كل حال الانصراف عن أمور الدنيا وقضاياها والكد والكدر فيها والاشتغال بأمور ثانوية في الدين كالتحالفات المذهبية والدروشة - كما يسميها

الأستاذ (فهسي هويدي) - وبحث مدى إخلاص أو عدم إخلاص بعض المفكرين من أعلام المسالين .  
وليس من العمل الجاد الذي تعمر به الحياة وترقى أن يتزك كل ذي تخصص تخصصه ، فالطب والهندسة والعمارة والطبيعة والكيمياء والرياضيات وعلوم الحرب وعلوم الإدارة وعلوم ارتياد الفضاء وكل العلوم التي نحن فقراء إلى النابغين فيها ، إلى الاشتغال بأحكام التلاوة وعلامات الساعة ، والخلافات المذهبية "١٣ .

إن العمل الجاد الذي تعمر به الحياة وترتقي : " هو أن ينصر كل منا الإسلام في ميدان تخصصه بالإنجاز فيه والإنتاج والإبداع "١٤ ، يقول الشيخ محمد الغزالي : " من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا عجزة عن الحياة . . . وإنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خينا في ميادين الحياة . وحسبنا أن مثوبة الله في كلمات تقال ومظاهر تقام . . . إن الله لا يقبل تديننا يشينه هذا الشلل المستغرب " . ولا أدري كيف نزعم الإيمان والجهاد ونحن نعاني من هذه الطفولة التي تجعل غيرنا يداوينا ، ويمدنا بالسلح إذا شاء "١٥ .

وفي هذا يقول مذكور أيضا : ( وربما كان من أهم أسباب هذه المشكلة عدم فهم معنى العبادة في الإسلام ، فالبعض لا يفهم من معنى العبادة إلا أنه الصلاة والزكاة والحج والصدقة وبعض الأذكار والأدعية ، مع أن هذا جانب واحد فقط في جوانب العبادة ؛ فالعبادة تشمل النشاط الإنساني كله ؛ لأن نشاط الإنسان المسلم كله حركة واحدة متجهة نحو تحقيق غاية وجوده ، وغاية وجود الإنسان هي العبادة عن طريق القيام بحق الخلافة في الأرض ، والقيام بحق الخلافة في الأرض يعنى عمارتها وترقيتها وفق منهج الله "١٦ .

ويقول القرضاوي في كتابه ( العبادة في الإسلام ) : " إن الزارع في حقله والتاجر في متجره والموظف في مكتبه وكذلك الطبيب والمهندس والمخترع والمدرس والطالب والفرش والوزير والرئيس ، وكل ذي حرفة في حرفه يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي صلاة وجهادا في سبيل الله إذا التزم فيه الشروط التالية :

- ١ . أن يكون العمل مشروعاً في نظر الإسلام .
- ٢ . أن تصحبه النية الصالحة بنفع نفسه وأمه وعمارة الأرض وفق منهج الله .
- ٣ . أن يلتزم الإتقان والمهارة والإحسان في العمل .
- ٤ . أن يلتزم فيه حدود الله ، بالبعد عن الظلم والعش والجور .
- ٥ . أن لا يشغله عمله هذا عن أداء التزاماته التعبدية الأخرى .

وبهذا فإن العبادة ليست مجرد إقامة الشعائر ، إنما العبادة هي الحياة ، فالحياة كلها خاضعة لشريعة الله . والإنسان في الحياة عابد طالما أنه متجه بكل نشاطه إلى الله مهما كان نوع العمل أو النشاط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله . أو القائم الليل ، الصائم النهار " (رواه

١٣ فهسي هويدي : هؤلاء الدراويش ، الأهرام في ٢٥ - ٨ - ١٩٨٧ .

١٤ انظر علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

١٥ محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، ص ٢٦ .

١٦ علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

الشيخان ) . وعن أنس رضي الله عنه قال : " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر قال فنزلنا منزلاً في يوم حار ، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ، فمنا من يتقي الشمس بيده ، قال فسقط الصوام ، وقام المفطرون فضربروا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله " ( أخرجه الستة ) .<sup>٦٧</sup>

" وبهذا المعنى الشامل تصبح العبادة هي الصلة الدائمة بين المسلم وربه ، وتصبح هي الصلة الدائمة للإنسان كله : جسمه وعقله وضميره ووجدانه ، وبهذا المعنى أيضاً يصبح من الواجب على منهج التربية الإسلامية أن يتنازل عن تقسيم النشاط الإنساني إلى عبادات ومعاملات ، وهو التقسيم الذي ورد في التأليف الفقهي في مرحلة متأخرة كما يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : " فهذا التقسيم مع الأسف - قد أنشأ آثاراً ضارة في التصور الإسلامي ، تبعته بعد ذلك آثار ضارة في الحياة الإسلامية كلها ؛ إذ جعل يترسب في تصورات الناس أن معنى العبادة إنما هو خاص بالنوع الأول من النشاط الذي يتناول فقه العبادات بينما أخذ المعنى ينزوي رويداً رويداً عن النوع الثاني من النشاط الذي يتناوله فقه المعاملات " <sup>٦٨</sup> وهو الخراف بالتصور الإسلامي لمفهوم العبادة لاشك فيه .

فالمنهج الإسلامي في التربية يجب أن يتناول كل النشاط الإنساني بالدراسة ، ابتداء من الشعائر التعبديّة كالصلاة والصيام والزكاة والحج إلى البرامج الدرامية في نظام الحكم ونظام الاقتصاد ، والتشريعات الجنائية والمدنية ، ونظام الأسرة ، ونظام الإدارة ، إلى المواد المختلفة في الرياضيات والطبيعة والكيمياء والعلوم الإنسانية إلى آخره - يجب أن يتناول المنهج كل هذه المواد والبرامج على أساس أنها لا تهدف إلا إلى غاية واحدة هي تحقيق معنى " العبادة " .

١٤ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن النشاط الإنساني كله عبادة ما دام يصدر من الإنسان على هدي الشريعة الإسلامية ، وضرورة تأكيد ذلك بالنصوص القرآنية التي يقدمها المختصون للتلاميذ .

### الجهاد في سبيل الله وتوجيه القرآن فيه :

#### مقدمة :

إن الجهاد سنام الإسلام ولذا فمشروعية الجهاد إنما هي لحماية الإنسان ليعيش في حرية يؤدي فيها كيفية الاستخلاف في الأرض ويتمكن من عمارتها بما يحقق العبودية الكاملة لله وحده ؛ إذ إنه لا يتمكن من عمارته الكون على منهج الله سبحانه وتعالى إلا إذا كان حراً لا سلطان عليه إلا سلطان الله ولا سبيل له إلا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ ( الحج ( ٧٧-٧٨ ) .

<sup>٦٧</sup> يوسف القرضاوي : العبادة في الإسلام . ط ٤ ، القاهرة . مكتبة وهبه ، ص ١٢ .

<sup>٦٨</sup> سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته . ط ٧ ، بيروت ، دار الشروق . ١٩٨٢ م . ص ١٠٩ .

فالجهد لحماية رسالة الإسلام التي هي رسالة السلام الحقيقية والعدل والطمأنينة . والسلام الذي جاء الإسلام لإقراره في الأرض إنما جاء ليعالج ناحيتين هامتين ويبين للناس فيهما وجه الحق ، وهاتان الناحيتان - كما يقول الشيخ حسن البنا - هما : " الناحية الأخوية الإسلامية ، والناحية الأخوية الإنسانية العامة"<sup>٦٩</sup> .

لقد جاء الإسلام فرأى الناس يتفاضلون ويتمايزون على أساس من اللحم والدم والقوم ، والأرض والطين ، فقرر أن هذا وهم باطل ، وأن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب : " يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴿ ( النساء : ١ ) . وبين أن التفاضل والاستعلاء إنما يكون بالتقوى والأعمال الصالحة : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ( الحجرات : ١٣ ) . فبالعنى الأول انتزع الكبير ، وبالعنى الثاني انتزع الحمية ، ووارى عصبية القبيلة ، وعصبية الجنس ، وعصبية الأرض ، تلك العصبية التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنها لأصحابه : " دعوها فإنها منتنة " . وقال لهم : " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " . إذن فالجهد في الإسلام قد شرع لحماية رسالة السلام القائمة على العدل والطمأنينة ، والأخوة الإسلامية ، والأخوة الإنسانية التي تسمو بالإنسان ترفعا عن نقي اللحم والدم ، ولوثة الأرض والطين . . .

لماذا شرع الجهاد ؟ الجهاد شرع لتمكين الإنسان من الحفاظ على الرسالة الخاتمة وتثبيت حاكميتها في الأرض .

فهي ما نزلت إلا لتتحكم الحياة وتنظم شؤون الناس على أساسها ، ويعم خيرها البشرية جمعاء . وإن الجهاد إنما هو " لا نتزاع سلطان الله المقتضب ، وردده إلى الله وطرده المعتصين له الذين يحكمون الناس بشرايع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب ، ويقوم الناس منهم مقام العبيد . . . إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض"<sup>٧٠</sup> ، أو بالتعبير القرآني : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ ( الزخرف : ٨٤ ) ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ ( يوسف : ٤٠ ) . وكذلك شرع الجهاد لتمتيع البشرية كلها بخير الإسلام ونعمته وعدله . " لقد جاءت هذه العقيدة في صورتها الأخيرة التي جاء بها الإسلام لتكون قاعدة للحياة البشرية في الأرض ، ولتكون منهاجاً عاماً للبشرية جمعاء ، ولتقوم الأمة المسلمة بقيادة البشرية في طريق الله وفق هذا المنهج ، المنبثق من التصور الكامل الشامل لغاية الوجود كله ، ولغاية الوجود الإنساني ، كما أوضحها القرآن الكريم المنزل من عند الله ، قيادتها إلى الخير الذي لا خير غيره في مناهج الجاهلية ، ورفعها إلى هذا المستوى الذي لا يتبعه إلا في ظل هذا المنهج ، وتمتيعها بهائه النعمة التي لا تعدلها نعمة ، والتي تنقصد البشرية كل نجاح وكل فلاح حين تحرم منها ، ولا يعتدي عليها معتد بأكثر من حرمانها من هذا الخير ، والحيلولة بينها وبين ما

<sup>٦٩</sup> حسن البنا : حديث الثلاثاء ، سجلها وأعدّها للنشر أحمد عيسى عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهرة ص ٢٦٤ .

<sup>٧٠</sup> انظر : سيد قطب : معالم في الطريق - دار الشروق ، بيروت - القاهرة الطبعة العاشرة . ١٩٨٣ م ، ص ٦٧ . وانظر أيضاً :

علي مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

أرادها لها خالقها من الرفعة والنظافة والسعادة والكمال" <sup>٧١</sup> .

ولما كان الله عز وجل قد أرسل محمدا برسالته الخاتمة إلى البشرية كافة في جميع الأرض : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ ( سبأ : ٢٨ ) ، ولما كان الإسلام هو السلام للإنسانية جميعا ، ولما كان الله يرضى للإنسانية أن تنعم بخيره ورحمته وهدايته ولا يرضى أن يكزن ذلك وقفا على قوم دون قوم ، أو جنس دون جنس ، فقد انبثق من ذلك ثلاثة حقوق تستوجب الجهاد في سبيل " إقرارها :

#### حقوق تستوجب الجهاد

١- " من حق البشرية أن تبلغ إليها الدعوة إلى هذا المنهج الإلهي الشامل وأن لا تقف عقبة أو سلطة في وجه التبليغ بأي حال من الأحوال " <sup>٧٢</sup> فالأمة المسلمة قد أناط الله بها مهمة حماية العبادة والاعتقاد للناس جميعا ، ودفع الظلم والقهر الذي قد يحول دون ذلك ، وكفالة القسط والعدل للبشرية كافة ، ومقاومة الشر والفساد في الأرض ، بحكم الرصاية الرشيدة التي ناطها الله بهذه الأمة ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ( آل عمران ) . ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ ( البقرة : ١٤٣ ) .

٢- ومن حق البشرية كذلك أن يترك الناس بعد وصول الدعوة إليهم أحرارا في اعتناق هذا الدين ، لاتصدهم عن اعتناقه عقبة أو سلطة ، فإذا أبى فريق منهم أن يعتنقه بعد البيان ، لم يكن له أن يصد الدعوة عن المضي في طريقها ، وكان عليه أن يعطي من العهود ما يكفل لها الحرية والاطمئنان ، وما يضمن للجماعة المسلمة المضي في طريق التبليغ بلا عدوان ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ( يونس : ٩٩ ) ، ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ( البقرة : ٢٥٦ ) .

٣- ومن حق هؤلاء الذين هداهم الله فاعتنقوا هذه الدعوة ، " من حقهم أن لا يفتنوا عنها بأي وسيلة من وسائل الفتنة ، لا بالأذى ، ولا بالإغراء ، ولا بإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى ؛ وتعويقهم عن الاستجابة . وكان من واجب الجماعة المسلمة أن تدفع عنهم بالقوة من يتعرض لهم بالأذى والفتنة ضمنا لحرية العقيدة وكفالة لأمن الدين هداهم الله وإقرارا لمنهج الله في الحياة وحماية للبشرية من الأحرمان من ذلك الخير العام " <sup>٧٣</sup> .

يقول مذكور : وينشأ عن هذه الحقوق : ثلاثة واجبات على الجماعة المسلمة :-

الأول : " هو تحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية ، وتهدد حرية اعتناق العقيدة ، وتفتن الناس عنها ، وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين غير ممكنة لقوة في الأرض ، ويكون الدين لله . . لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان ، ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض . بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله . . وبحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله ، وهده

<sup>٧١</sup> سيد قطب : في ظلال القرآن ، الجزء الثاني . ص ١٨٦ .

<sup>٧٢</sup> المرجع السابق .

<sup>٧٣</sup> المرجع السابق .

عن أهله . ويضلهم عن سبيل الله ، بأي وسيلة ، وبأية أداة .

والواجب الثاني :- أن يعلم المسلمون أنهم لا ينصرون بعددهم ولا ينصرون بعدتهم وعتادهم إنما هم ينصرون بإيمانهم وطاعتهم وعاون الله لهم ، فإذا هم تخلوا عن توجيه الله ، وتوجيه رسوله صلى الله عليه وسلم فقد تخلوا عن سبب النصر الوحيد الذي يرتكزون إليه .

والواجب الثالث :- أن يدرك المسلمون أن الجهاد الوحيد الذي يأمر الإسلام به ، ويقصره ويشب عليه ، ويعتبر الذين قتلوا في سبيله شهداء ، والذين يحتلمون أعباءه أولياء ، هو الجهاد في سبيل الله : أي الجهاد في سبيل العقيدة لحمايتها من الحصار ، وحمايتها من الفتنة ، وحماية نظامها ومنهجها في الحياة . قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم ولا تعدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ( البقرة : ١٩٠ ) .<sup>٧٤</sup> ويقول سيد قطب رحمه الله في القتال المقبول عند الله : " إن القتال لله ، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة والقتال في سبيل الله لا في سبيل الأجداد والاستعلاء في الأرض ، ولا في سبيل المغامر والمكاسب ولا في سبيل الأسواق والحامات ، ولا في سبيل تسويد طبقة أو جنس على جنس . . . إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام ، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض وإقرار منهجه في الحياة . وحماية المؤمنين به أن يفتسروا عن دينهم ، أو أن يجرفهم الضلال والفساد ، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام ، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام " .<sup>٧٥</sup>

#### أنواع أخرى غير القتال من الجهاد :

الحقيقة أن الجهاد - قتالاً في الميادين الحربية - ماهو إلا لون من ألوان الجهاد الكثيرة التي منها :

طلب العلم النافع : فطلب العلم النافع الذي تعمر به الحياة وترتقي جهاد في سبيل الله . لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول : " اللهم علمني ما ينفعني ، وانفعني بما علمتني " وكان عليه الصلاة والسلام يعتبر طالب العلم مجاهداً في سبيل الله : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " ( رواه الترمذي ) .  
ومن العلم التفقه في الدين : والتفقه في الدين من الجهاد في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ( التوبة : ١٢٢ ) . يقول سيد قطب - رحمه الله - " إن المؤمنين لا ينفرون كافة ، ولكن تنفر من كل فرقة منهم طائفة - على التناوب - لتفقه في الدين بالنفير والخروج والجهاد والحركة بهذه العقيدة ، وتبذر الباقي من قومها إذا رجعت إليهم ، بما رأته ، وما فقته من هذا الدين في أثناء الجهاد والحركة . . . " ويقول : " إن هذا الدين منهج حركي ، لا يفقهه إلا من يتحرك به ، فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه . بما يتكشف لهم من أسرارهِ ومعانيهِ ، وبما يتجلى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في أثناء الحركة به . . . ولعل هذا عكس ما يتبادر إلى الذهن ، من أن المتخلفين عن الغزو والجهاد والحركة هم الذين يتفرغون للتفقه في الدين ! ولكن هذا وهم . لا يتفق مع

<sup>٧٤</sup> على أحمد مذكور : المفاهيم الأساسية لمناهج التربية ، مرجع سابق . ص ٢٧١ .

<sup>٧٥</sup> سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق . ص ١٨٦ .

طبيعة هذا الدين . . . إن الحركة هي قوام هذا الدين ، ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به . ويجاهدون لتقريره في واقع الناس ، وتعليبه على الجاهلية : بالحركة العملية . . . التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد وردهم إلى العبودية لله وحده بتحكيم شريعة الله وحدها ، وطرد شرائع الطواغيت" <sup>٧٦</sup> .

وجهاد النفس من أشق ألوان الجهاد : لأنه جهاد ضد النفس الأمانة بالسوء ، والهوى الغلاب والغريزة الطاغية ، والشهوة المنحرفة ، والمزايث الساقطة ، والتقاليد المأبوضة ، والعادات السيئة ، والثقافات المنحرفة الوافدة . . . والصبر على الفترات التي يعلو فيها الباطل وينفخ ويبدو كالمنتصر ، والصبر على طول الطريق ، وبعد الشقة ، وكثرة العقبات في طريق مخوفة بالمكاره ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحریم : ٦) . إن هذا اللون من الجهاد هو الذي يحدث تفاعلا داخليا وخارجيا يتولد عنه إنسان متميز متبرع لا تابع ، ورأس لا ذيل ، ومغير يارادته وطاقاته التي منحها الله إياها ، وليس مجرد ترس في عجلة الختمية التاريخية ، أو الختمية المادية أو أية حتمية أخرى . وحين يفقد المسلم هذا اللون من جهاد النفس ، فإنه يتحول إلى مسخ مشوه للإسلام ، ولكل الفلسفات والنظريات الأخرى ، فترى المسلم الاشتراكي ، والمسلم الشيوعي ، والمسلم الرأسمالي ، والمسلم الوجودي ، وهلم جرا . . . <sup>٧٧</sup> .

ويقول الدكتور علي أحمد مذكور : ومن أهم ألوان الجهاد المطلوبة اليوم :

الجهاد الاجتماعي : أي الجهاد من أجل تعديل أوضاع المجتمع المسلم التي انحرفت عن طريق الله ويكون ذلك عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة . . . . إنه من الضروري أن نتعامل بإيجابية وفاعلية من أجل تصحيح الأوضاع الاجتماعية التي لا تستقيم مع منهج الله .

فلاستغلال ضد التوحيد ، والتفاوت الاجتماعي والنظام الطبقي والجهل البغيض ضد التوحيد . والجور الكافر قد لا يترك للمرء لحظة يتذكر فيها الله . . . . والاستبداد يتساقط مع منهج الله تماما ، لأن الاستبداد في جوهره تقزيم للذات البشرية ، وحصر للدائرة تطلعاتها ، وإنكار لمبدأ المساواة والعدالة بين الناس .

وإذا كان المجتمع الإنساني كله في كل مكان وزمان هو موضع للدعوة والجهاد في سبيلها . فإن ذلك يستوجب ضرورة أن يتطور مفهوم الجهاد طبقا لظروف المجتمع ومتطلبات العصر وحاجات الناس ومشكلاتهم ، فهو ليس مجرد قتال من أجل الدعوة في ميدان القتال وإنما هو أيضا جد في طلب العلم ، وإحسان في العدل ، وإحسان في تربية الأجيال ، وبذل للنفس وبذل للمال . . . وهكذا كل نشاط تستقيم به حياة الإنسان على منهج الله . . . <sup>٧٨</sup> .

١٥ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن للجهاد أنواعا متعددة ، وضرورة أن يتضمن المحتوى نصوصا توضح هذه الأنواع ، وتوجهها التوجيه الإسلامي الصحيح .

### القرآن والتغير الاجتماعي :

<sup>٧٦</sup> المرجع السابق : ج ١١ ، ص ١٧٣٤ - ١٧٣٥ .

<sup>٧٧</sup> حسن أيوب : الجهاد والفدائية في الإسلام : بيروت . دار الندوة الجديدة ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م . ٣٢٠ .

<sup>٧٨</sup> علي أحمد مذكور : المفاهيم الأساسية لمناهج التربية . دار أسامة للنشر والتوزيع ، الرياض . ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

قاعدة التغيير<sup>٧٩</sup> :

الإسلام هو نظام الله للكون ، ومنهوم الدين في هذا النظام هو المنهج العام الذي يحكم الحياة ويقوم هذا النظام ، أو المنهج على أساس أن الحاكمية لله وحده ، وأن الإنسان هو خليفة الله في أرضه ، وأن حق الخلافة يقتضي أن يساهم الإنسان - بإيجابية وفاعلية - في عمارة الأرض ، وترقيتها وفق منهج الله ، وأن كل فكر أو شعور ، أو قول ، أو عمل يقرم به الإنسان - أثناء حركته السانبة المخلصة لله - في عمارة الكون ، هو جزء من عبادة الإنسان لله سبحانه يثاب عليه في الدنيا ويرصد له في الآخرة .

والتغير الذي يحدثه الإنسان في الأرض أو في المجتمع ، يتم وفق الإرادة المطلقة لله ، وهذا التغير إما أن يكون في اتجاه يهدف إلى تدبير شئون الخلق وفق منهج الله ، وإما أن يكون في أي اتجاه آخر ، وفي كل الأحوال فإن التغيير الاجتماعي الذي يحدثه الإنسان ، إنما يخضع لقاعدة ثابتة تمثلت في قول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ( الرعد : ١١ ) . وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ( الأنفال : ٣ ) هاتان الآيتان من أصرح آيات القرآن تبياناً لسنة الله في التغيير .

ففي سياق تفسيره للآية الأولى يقول الحافظ ابن كثير<sup>٨٠</sup> يروي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : ( أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله ، إلا حول عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون ) ثم قال : إن تصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . . ﴾ وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ربه عز وجل قال : " قال الرب : وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عروشي ، ما من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي ، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي "<sup>٨١</sup> .

ويقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - في كتابه : ( في ظلال القرآن ) تفسيراً للآية الأولى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ : فالله سبحانه وتعالى يتعقب عبادة بالحفظة من أمره لمراقبة ما يحدثون من تغيير بأنفسهم وأحوالهم ، فيرتب عليه الله تصرفه بهم ، فإنه لا يغير نعمة أو بؤساً ، ولا يغير عزاً أو ذلة ، ولا يغير مكانة أو مهانة . . . إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم ، وواقع حياتهم ، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم ، وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم من قبل أن يكون ، ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم ، ويحى لاحقاً له في الزمان بالقياس إليهم "<sup>٨١</sup> .

وفي الآيتين التاليتين ، يرينا الله سبحانه وتعالى كيف تمضي سنته هذه في الخلق : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ، كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات

<sup>٧٩</sup> انظر : علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق . ص ٢٢ وما بعدها .

<sup>٨٠</sup> ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار الأندلس ، ج ٤ . ص ٧٥ .

<sup>٨١</sup> سيد قطب . في ظلال القرآن ، ص ١٠٠ ، ج ١٣ ، بيروت ، دار الشروق ، ٢٠٠٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . ص ٢٠٤٩ .

ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴿ ( الأنفال: ٥٣، ٥٤ ) .

يقول ابن كثير : " يخبر الله تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه . فال فرعون وأمثامهم . حين كذبوا بآيات الله أهلكتهم الله بسبب ذنوبهم . وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم ، من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين <sup>٨٢</sup> . فالآيات السابقة إذن : تقرر حقيقة كلية ، وسنة من سنن الله في الكون يمضي بها قدره ، فما أصاب المشركين يوم بدر ، هو ما يصيب المشركين في كل وقت ، وقد أصاب آل فرعون والذين من قبلهم : كفروا بآيات الله : عقيدة وعملا ، فأخذهم الله بذنوبهم .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ﴿ كذاب آل فرعون والذين من قبلهم . . . . ﴾ يدل على أن الله أهلكت آل فرعون وكذلك الذين من قبلهم بعد أن أخبروا بآيات الله وكذبوا بها ، فهو لم يهلكهم قبلها ، مع أنهم كانوا كافرين ، لأن هذه سنته : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ( الإسراء : ١٥ ) ، وملخص قاعدة التغير الاجتماعي في سنة الله : أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن ثبت على طاعة الله أدام الله عليه خيره ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه . فلا تغيير من الله حتى يغير عبده من المسار الذي شرعه له ، قرأنا وسنة .

١٦ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الثبات على طاعة الله ورسوله يديم نعمة الله عليهم ، وأن عدم طاعة الله ورسوله سب يؤدي إلى زوال نعمه ، وأن يقدم المحتوى إليهم النصوص القرآنية التي تؤيد ذلك وتوضحه لهم من خلال المحتوى المقرر .

## ٢ - الحياة الثقافية والمعرفية

### النظام الثقافي في التصور الإسلامي :

#### أصول الثقافة في التصور الإسلامي

إنه لا يرفع شأن الإنسان في فكره ، أو في مظهره ، أو في مخبره . . . . . شئ ما يتعد به عن توحيد الله ، والخضوع لحكمه ومن ثم فثقافة الإنسان تبتدى من هذا المنطلق : التعرف على خالقه . ثم توحيد وإخلاص العبادة له ، والرضا بحكمه حكما مطلقا ، يتمثل في تنفيذ الشريعة الإسلامية بكليتها : قرأنا وسنة ، ولذا يقول مذكور : " تقوم الثقافة في التصور الإسلامي على قاعدة أساسية هي أفراد الله سبحانه " بالعبودية " ، ومن ثم إفراده " بالحاكمة " ، وإفراد الله بالعبودية يتمثل في اتخاذ الله وحده إله ، وإفراده بالحاكمة يعني تحكيم شريعة الله في كل مجالات الحياة <sup>٨٣</sup> ، ولا يتحقق هذا الأساس في الواقع إلا لمن عرف المنهاج المطلوب منه تنفيذه . ثم عرف كذلك كيفية التنفيذ المرضي عنها من صاحب هذا المنهاج ، وهذا لا يوجد إلا في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة وفي هذا يقول مذكور كذلك : " وانطلاقاً من هذه القاعدة ، فإن الثقافة في التصور الإسلامي ذات شقين :

<sup>٨٢</sup> ابن كثير : مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

<sup>٨٣</sup> هني أحمد مذكور ، منهج التربية في التطور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

**الأول : الشق المعياري ،** ويتمثل في شريعة الله؛ أي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .  
**الثاني : الشق التطبيقي ،** ويتمثل في التطبيق العلمي الواقعي للشق المعياري<sup>٨٤</sup> ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن شريعة الله وسعت الإنسان في كل متطلبات حياته ومماته . . . وديناه وأخراه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلغ هذه الشريعة ، طبقها : قولاً وعملاً هو وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لم يمت حتى أنزل الله عليه قوله جل وعلا : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأقممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة: ٣) .

ويجمل الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - مكونات الشريعة الإسلامية بصفة عامة فيقول :

- ١- أصول الاعتقاد : كتصور حقيقة الألوهية ، وحقيقة الكون ، غيبه وشهوده وحقيقة الحياة : غيبها وشهودها وحقيقة الإنسان ، والارتباط بين هذه الحقائق كلها ، وتعامل الإنسان معها كلها .
- ٢ - أصول الحكم : ويتمثل في الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والأصول التي تقوم عليها ، ليمثل في العبودية الكاملة لله وحده ، كما يتمثل في التشريعات القانونية التي تنظم هذه الأوضاع .
- ٣ - أصول الأخلاق والسلوك : وتتمثل في المعايير والقيم والموازين التي تسود المجتمع ، ويقوم بها الأشخاص وتزدى بها الأعمال في الحياة الاجتماعية في جميع جوانبها .
- ٤ - أصول المعرفة : وتتمثل في أصول العلم ، وفي أصول النشاط الفكري . والتزبوي . والنسبي والأدبي جملة وتفصيلاً .<sup>٨٥</sup>

وهذه المكونات التي تحدث عنها شهيد الإسلام تمثل الشق الأول - الشق المعياري - ، وفيه يقول مذكور : " ومعنى أن هذا الشق " معياري " أن كل ما عداه من المناهج والنظم والتشريعات والقوانين وأنماط السلوك الفكري والقولي والعملي - الفردي والجمعي - يقاس عليه ، لكنه هو لا يقاس على شيء من خارج ذاته . وما ذلك إلا لأنه شق رباني ، ثابت ، لا يمكن التلقي فيه إلا عن الله<sup>٨٦</sup> ، وكل ما كان من الله فليس كمثل شئ . لذا فتركه والأخذ بسواه ، أو خلطه بغيره يناهي العبودية لله ، ويؤدي إلى الخروج عن منهج الله تماماً ، أما الشق الآخر للثقافة في التصور الإسلامي فهو المتمثل في التطبيق الصحيح للشق الأول : قولاً وشعوراً وتفكيراً وعملاً ... ، وكل ما يخالف هذا الشق من قوانين وعادات وتقاليد وأفكار وسلوكيات مما يشيع في المجتمعات لا يعتبر من مكونات الثقافة الإسلامية .

إذن فما مفهوم الثقافة في الإسلام ؟

مفهوم الثقافة في التصور الإسلامي :

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الثقافة في التصور الإسلامي كما يقول مذكور : " بأنها الأسلوب الكلي لحياة الجماعة المسلمة الذي يتسق مع التصور الإسلامي للألوهية والكون والإنسان والحياة وهي بهذا تشمل أصول

<sup>٨٤</sup> المرجع السابق .

<sup>٨٥</sup> سيد قطب : معالم في الطريق ، ط ١٠ - بيروت ، دار الشريعة ، ١٩٨٢ م . ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

<sup>٨٦</sup> علي أحمد مدكور ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

الاعتقاد ، وأصول العمل ، وأصول الحكم . وأصول المعرفة . وأصول الأخلاق والسلوك وكل التشريعات والنظم والقوانين التي تخضع لها ، وجميع أشكال التطبيق العملي الواقعي وأنماط السلوك الجماعي والفردى التي تتسق معها نوا وروحا .

### خصائص الثقافة في التصور الإسلامي :

وللثقافة الإسلامية خصائصها التي تتميز بها عن كل الثقافات ، فهي ثقافة موحى بها من عند رب الإنسان الذي علم ما يحمل به الإنسان ويحسن في عقيدته ومثلثه ومجبره وكل حركاته وسكناته فشرع له ما يقومه وأبعد عنه ما يعرج به عن الصراط السوي ، ومن هنا كانت هذه الثقافة عبادة لمن يتمثل بها ، لأنها ربانية المنبع تعتمد على الشريعة المتمثلة في كتاب الله المحفوظ بحفظ الله وسنة رسوله المطبقة لهذا الكتاب المجيد . فهي ربانية عالمية ، إنسانية لاتحدها الحدود الجغرافية ، أو الخرائط السياسية . وإنما حدودها هي حدود فكرتها ، وفكرتها جاءت للناس أجمعين ، والمطلوب من الناس كل الناس أن يتقنوا بها : ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون : ٥٢) . وبما أن الجانب المعياري في هذه الثقافة - الجانب التشريعي - جانب إلهي - فهو ثابت - يصف ما يجب أن تكون عليه الحياة على الأرض ، بمن عليها وما عليها . ولذلك فهو جانب مطلق وملزم . أما جانبها التطبيقي العملي ، فهو لازم لزوما حتميا للجانب المعياري . وإن تغيرت صورته وأشكاله - وهي لابد أن تتغير - بتغير الزمان والمكان ، ولكن في ضوء الموجهات المعيارية . وفي نطاق محورها ، ومن شأن هذه الثقافة الإسلامية أنها تؤكد الصلة بين الإنسان المسلم وربه ، وذلك من خلال قمرسه بها يوميا ، وهي ثقافة عبادة ، لأنها تجعل الإنسان يفرد ربه بالعبودية ، ويخصه وحده - سبحانه - بالحاكمة ، فهي ثقافة حرة ، لأنها تحرر الإنسان من العبودية لغير الله . وهي أيضا ثقافة عادلة ، يقول مذكور : " وهي أيضا ثقافة عادلة ، حيث إنها ربانية وعالية . وليست قومية ولا محلية ، ولا إقليمية - فهي تكره الاحتكار والاستغلال والظلم في كل زمان ، وفي كل مكان ، وفي جميع أنماط السلوك الإنساني ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨) <sup>٨٧</sup> .

وهي ثقافة متعادلة : فيها التوازن بين ما يدركه الإنسان فيسلم به ، وبين ما يتلقاه ، فيبحث عن علمه وبراهينه وغاياته ، ويفكر في مقتضياته العملية وتطبيقاته في الحياة الواقعية ، وفيها التوازن بين طلاقة المشيئة الإيفية ، وثبات السنة الكونية ، وفيها التوازن بين مجال المشيئة الإلهية المطلقة ، ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة ، وفيها التوازن بين عبودية الإنسان المطلقة لله ، وبين مقام الإنسان الكريم في الكون ، وفيها التوازن في مصادر المعرفة بين التلقي من الرحي والنص ، والتلقي من الكون والحياة ، وفيها التوازن بين حاجات الإنسان الروحية وبين حاجاته المادية والاجتماعية <sup>٨٨</sup> .

ويقول الأستاذ محمد أسد " إن الثقافة التي لاتستطيع أن تقيم توازنا بين حاجات الإنسان الجسمية والاجتماعية

<sup>٨٧</sup> المرجع السابق : ص ٢٣٧ .

<sup>٨٨</sup> انظر سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، بيروت ، دار الشروق ، ط ٧ ، الفصل الخاص بالتوازن ، ص ١١٤ .

، وبين أشواقه الروحية ، لا يستطيع - مهما بلغت من تقدم - أن تغلب على استعداد الإنسان الأحمق للسقوط فريسة لأي هتاف عدائي ، أو نداء للحرب ، وإذا فقدت الثقافة توازنها فإنها تصبح صورة قاسية من صور القلق ، والحيرة الذهنية ، والتمزق النفسي ، وفقدان الهدف الحقيقي للحياة <sup>٨٩</sup> .

يقول مذكور : " والثقافة الإسلامية بهذا المفهوم وبهذه الخصائص تختلف في مصدرها وفي غايتها عن الثقافات البشرية الأخرى اختلافاً بينا ، فالثقافات البشرية عموماً ، والغربية منها على وجه الخصوص ، تعرف لدى بعض علماء الغرب بأنها " الأسلوب الكلي لحياة الجماعة " . وهذا التعريف للثقافة يشمل جميع أنماط التفكير والعمل والسلوك المعرفي والوجداني والحركي ، فطريقة تفكير الجماعة ، وطريقتهم في العمل . وأساليبهم في التعليم والتعلم وطرائقهم في التعامل ، ومعتقداتهم وقيمهم ونظمهم ، وحتى الطرق التي يأكلون ويشربون بها . والكيفية التي يمشی الناس بها في الطرقات ، أو يقردون بها السيارات . . . الخ ، كل هذه أنماط ثقافية ، تختلف باختلاف المجتمعات ، وباختلاف الفلسفات والنظريات التي تغذي هذه الثقافات وتوجه أنماط السلوك فيها .

وهذه الثقافات وصفية أي : أنها تصف الأسلوب الكلي لحياة الجماعة في زمن معين . وهي متغيرة في جانبها : الاعتقادي الفلسفي ، والسلوكي الواقعي . ولكن مع اختلاف في التسمية فقط ، وليس هناك التزام مطلق بين الجانبين ، وهي يحكم بشريتها في المصدر : قومية وإقليمية وشعبوية ، كما أنها ثقافات مفروضة ، حيث إن القوى أو الطبقات الاجتماعية القوية ، هي التي تنجح في فرض ثقافتها عن طريق وسائل الإعلام والإعلان والمناهج التربوية ، والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشرع للمجتمع ، وتنظم حركة نشاطه .

موازنة موجزة بين خصائص الثقافة الإسلامية ، وخصائص الثقافات الأخرى

م	خصائص الثقافة الإسلامية	خصائص الثقافات الأخرى
١	ريالية : مصدرها القرآن والسنة .	بشرية : مصدرها الفلسفات والنظريات الوضعية .
٢	عالمية وإنسانية .	قومية ، وإقليمية ، وشعبوية <sup>٩٠</sup> .
٣	جانبيها المعياري ثابت ، وجانبيها التطبيقي الواقعي لازم لزوماً مطلقاً للجانب المعياري . وإن تغيرت صور هذا الجانب التطبيقي وأشكاله .	جانبيها المعياري متغير نسبيًا ، وجانبيها التطبيقي متغير دائماً ، وغير ملتزم التزاماً كلياً أو مطلقاً بالجانب المعياري .
٤	يجب أن تتغير وتتطور الأشكال والصور الثقافية ؛ ولكن في ضوء الموجهات المعيارية وحول محورها .	لا حد لتغير الأشكال والصور الثقافية مع غياب المعايير والقيم الإنسانية التي توجهها .

٨٩ محمد أسد: الطريق إلى الإسلام، في أنوار الجندي، أهدى المنهج الغربي الوافد. بيروت، دار الكتاب اللبناني، رقم ٦ ص ٢٤٢ .

٩٠ انظر ، رشدي أسد طليعة "اهتمامات الأجانب نحو الثقافة العربية الإسلامية" في دراسات تربوية ج ٣ ، ص ٢٢٢ - ٢٣٢ .

٥	تعقد الصلة الدائمة بين الإنسان وربه ، فيفرد الإنسان ربه بالعبودية ، ومن ثم بالحاكمية .	تعبد العباد للعباد .
٦	ثقافة حرة ، لأنها تحرر الإنسان من العبودية لغير الله .	ثقافات مفروضة بواسطة الطبقات أو الجماعات المسيطرة اقتصادياً وسياسياً .
٧	ثقافة متوازنة ، فيها توازن بين الغيب والشهادة وبين الروح والمادة .	تفتقد التوازن .
٨	ثقافة عادلة ، حيث إنها ثقافة ربانية وعالمية ، ليست قومية ولا أقليمية ، فهي تكره الاحتكار والاستغلال والظلم في كل زمان وفي كل مكان وفي جميع أنحاط السلوك .	لأنها ثقافة بشرية ؛ فهي قومية وذنوبية ، تقوم على الاحتكار والاستغلال والظلم .

١٧ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ حقيقة النظام الثقافي في التصور الإسلامي وأن يختار لهم المحتوى نصوص القرآن التي توضح لهم هذه الحقيقة .

### الحضارة في التصور الإسلامي

#### مفهوم الحضارة في التصور الإسلامي

عندما تكون الثقافة الإسلامية ترجمة عملية للجانب المعياري فيها - مع استخدام كل معطيات الإنسان والزمان والمكان . . . تتحقق الحضارة .

فالحضارة هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها : إنسانياً ، وخلقياً ، وعلمياً ، وأدبياً ، وفنياً ، واجتماعياً ، وفق التصور الإسلامي للكون وللإنسان وللحياة .

" وبناء على هذا المفهوم ، فإن " المجتمع الإسلامي " وهو المجتمع الذي يطبق شريعة الله في كل جوانب الحياة ، هو وحده المجتمع المتحضر " <sup>٩١</sup> . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ( يوسف : ٤٠ ) .

فالحضارة الحققة إذن : يجب أن تكون في اتباع كتاب الله كله ، واتباع سنة رسوله كلها . " فلتقد أقسم المولى - عز وجل - بنفسه - كما يقول ابن القيم - على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسول الله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ، ولم يكتف منهم بذلك حتى يسلموا تسليماً " <sup>٩٢</sup> ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ ( النساء : ٦٥ ) .

فنظر الإسلام إلى الحضارة ذاتها كما يقول الأستاذ محمد أسد : " ذاتية الحضارة الإسلامية " <sup>٩٣</sup> . فالحضارة

<sup>٩١</sup> سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

<sup>٩٢</sup> ابن القيم : أعلام الموقعين عن رب العالمين . بيروت ، دار الجيل ، ج ١ ، ص ٥١ .

<sup>٩٣</sup> انظر : محمد أسد الطريق إلى الإسلام ، مرجع سابق .

الإسلامية ليست ثمرة تقاليد متوارثة ، ولا نتيجة تطورات وتيارات فكرية آتية من الماضي ، وإنما هي انبعاث ذاتي من القرآن الكريم ، ومن سنة رسولنا عليه الصلاة والسلام ومن تطبيقهما تطبيقاً عملياً صحيحاً في واقع الحياة .

#### أصول الحضارة في التصور الإسلامي :

الأصل الأول : هو أن تكون الحاكمة في المجتمع لله ، وبذلك يتحرر الإنسان فيه من العبودية لله رب العالمين ، وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية ، " ولا حرية - في الحقيقة - ولا كرامة للإنسان - مثلاً في كل فرد من أفراد في مجتمع بعضه أرباب يشرعون <sup>١٤</sup> وبعضه عبيد يطيعون . "

والتقدم الإنساني في عرف الإسلام موقوف على اتباع شريعة الله لا غير ، ولا تتحقق الحضارة في نظره بدون ذلك ، والتقدم المادي فقط هو الحضارة في غير الإسلام من المذاهب والتيارات الفكرية التي لا عاصم لها من شريعة الله ، ويؤكد هذا المعنى الدكتور يوسف أحمد في بحثه عن روح الحضارة الإسلامية ، إذ يقول : إن أبرز اختلاف بين مفهوم الحضارة في الفكر الإسلامي ومفهومها في الفكر الغربي يقوم على تفسير " التقدم " فالغرب يرى التقدم مادياً خالصاً ، بينما يرى الإسلام أن التقدم معنوي ومادي ، وأنه إنساني أصلاً ، وتوحيدي أساساً . " <sup>١٥</sup> .

#### الحضارة الحققة إنما تتحقق بالعودة إلى النبع الصافي :

النبع الصافي هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة بأنواعها ، وكل شعور أو قول أو عمل صدر من المسلمين : فرادى وجماعات ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى أن تقوم القيامة ، وكان تصديقنا عملياً للقرآن والسنة ، والحضارة الحققة موقوفة على الري منه ، والتطهر به ؛ فهو موجود على حاله ، وعلى صفاته ، فمن شاء استقى منه مباشرة ، أو سحب الماء منه في أنابيب لا يصل إليها قدر ولا يخالطها كدر .

#### العقيدة رابطة التجمع الحضاري الأساسية في المجتمع المسلم

الأصل الثاني : هو أن تمثل العقيدة رابطة التجمع الأساسية في المجتمع ؛ وبذلك أيضاً يكون المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد المتحضر ؛ لأن العقيدة - وحدها - تمثل رابطة التجمع الأساسية فيه ، فالعقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأبيض والأسود ، والأحمر والأصفر ، والعربي والفارسي ، والرومي والحبيشي فسائر أجناس الأرض يجتمعون في أمة واحدة ، ربها واحد هو الله ، ومنهجها واحد لأنه من الله ، والآنقى فيها هو الأكرم عند الله . وبذلك فإن جنسية المسلم هي عقيدته التي تجعله عضواً في " الأمة الإسلامية " .

والعقيدة هي الوطن ، ولا وطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله ، فتقوم الروابط بينه وبين سكانه على أساس الارتباط في الله ، إذن فالارتباط على أساس العقيدة هو الذي يجعل المسلم عضواً أيضاً في " دار الإسلام " . يقول الشيخ علي الطنطاوي : " إنه لا قرابة للمسلم إلا تلك التي تنبع من العقيدة في الله فتصل الرشيحة بينه وبين أهله في الله ، إنه على أساس من العقيدة طرد الإسلام " أبا لهب " عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - العربي القرشي من الجنسية الإسلامية ، بل وجعل سبه عبادة ومشتبه صلاة : ﴿ تبت يدا أبي ذب و تب ﴾

<sup>١٤</sup> سيد قطب . معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

<sup>١٥</sup> انظر مدمور ، منهج التربيته في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٨ .

(المسد : ١) ، وعلى العكس من ذلك نجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - يضم سلمان الفارسي - وهو غير عربي - لا إلى الإسلام فقط ، بل إلى بيت النبوة ، فيقول : " سلمان منا آل البيت " <sup>٩٦</sup> .

وعلى أساس يفرق الإسلام بين نوح وامرأته ، ولوط وامرأته . وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ (التحریم : ١٠) .

وكذلك يتم هذا التفريق بين نوح وابنه فينجو نوح ومن آمن معه ويغرق ابنه غير المؤمن ، ويقول له الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ (هود : ٤٦) .

والعكس يحدث مع امرأة فرعون : ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ (التحریم : ١١) .

ويقول مذكور : " أما وشائج اللحم والدم ، والأرض والدين ، كالجنس واللون . والقومية ، والقراية والإقليمية . الخ فإن الإسلام يرفع الإنسان عن مستواها ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول للمهاجرين والأنصار : " دعوها فإنها منتنة " ، إذن فالصخرة واحدة وهي " العقيدة " إذا اعتقدت فالمسلم عضو في " الأمة الإسلامية " وعضو في " دار الإسلام " ، والمؤمنون كلهم " إخوة " ، ولو لم يجمعهم نسب أو مصاهرة ﴿ إنما المؤمنون إخوة . . . ﴾ (الحجرات : ١٠) وبالتأكيد والقصر ، ولا ولاية عليهم من خارجهم . بل بعضهم أولياء بعض ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ (الأنفال : ٧٢) ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (التوبة : ٧١) .

وأثر العقيدة في نفوس المسلمين أقوى من أي أثر آخر ومفعولها في جمع الكلمة ، وتوحيد الصفوف ، والإخلاص في العمل والتفاني لنصرة الدين والعمل على تحقيق الحرية والكرامة للإنسان خير شاهد على أن العقيدة تبعث في الإنسان معنى الأخوة الحقيقية بصفة لا مثيل لها ، وخير شاهد على ذلك التاريخ الذي سجل ذلك في صفحاته للأمة الإسلامية في ماضيها الجيد .

ولآصرة التجمع الأساسية في المجتمع الإسلامي حكمة " ربانية " بالغة . ومن ثم ، فهي " عقلية " و" علمية " يقول الأستاذ سيد قطب : حين تكون آصرة التجمع الأساسية في مجتمع ما هي العقيدة والتصور والفكرة ومنهج الحياة ، يكون ذلك ممثلاً لأعلى ما في إنسانية الإنسان من خصائص .

أما حين تكون آصرة التجمع في مجتمع هي الجنس واللون والقوم والأرض . . . وما إلى ذلك من روابط ، فإن هذه الروابط كلها لا تمثل الخصائص العليا للإنسان وذلك بسبب حاسمين :

السبب الأول : هو أن الإنسان يبقى إنسانا بعد الجنس واللون والقوم والأرض ولكنه لا يبقى إنسانا بعد العقيدة والفكرة ، وحرية الإرادة <sup>٩٧</sup> .

<sup>٩٦</sup> الشيخ علي الطنطاوي : ' سووا صفوفكم ' الشرق الأوسط . العدد ٩ / ١٠ / ٢ / ١٩٨٧ م ص ١٠ .

<sup>٩٧</sup> سيد قطب : معالم في الطريق . مرجع سابق . ص ١٥٣ .

السبب الثاني: " هو أن الإنسان يملك - بحض ارادته الحرة - أن يغير عقيدته . وتصوره وفكره . ومنهج حياته فهذه مزايا شخصية يستطيع من يشاء اكتسابها - كما يقول الشيخ علي الطنطاوي - ولكنه لا يملك أن يغير لونه . ولا جنسه ، كما أنه لا يملك أن يحدد مولده في قوم ، ولا في أرض " <sup>٩٨</sup> .

الأصل الثالث : من أصول ومقومات الحضارة الإسلامية هو أن تكون " انسانية " الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع وأن تكون الخصائص " الإنسانية " فيه هي موضع التكريم والاعتبار فعندئذ يكون المجتمع متحضرا ، أما حين تكون " المادة " - في أية صورة - هي القيمة العليا ، فإن هذا المجتمع يكون مجتمعا متخلفا <sup>٩٩</sup> . مهسا بلغت درجة تقدمه العلمي والاقتصادي والصناعي ، لكن المجتمع المتحضر الإسلامي لا يحتقر المادة - كما يقول الأستاذ سيد قطب - : " ولكنه فقط لا يعتبرها القيمة العليا التي تهدر في سبيلها خصائص " الإنسان " ومقوماته . وتهذر من أجلها هوية الفرد وكرامته ، وتهذر فيها قاعدة " الأسرة " ومقوماتها ، وتهذر فيها أخلاق المجتمع وحرماته . . إلى آخر ما تهدره المجتمعات الجاهلية من القيم العليا والفضائل والحرمان لتحقيق الوفرة في الإنتاج المادي <sup>١٠٠</sup> .

إن هذه " الصبغة الإنسانية " النابعة من العقيدة الإسلامية هي التي تفسر لنا اجتياح الإسلام لفكر الامبراطوريات التي فتحها ، وثقافتها . وعاداتها ، وتقاليدها وصياغتها صياغة جديدة . حتى لكأن الثقافات والموروثات المعمرة التي كانت بها لم تكن ، كما يقول الأستاذ أنور الجندي <sup>١٠١</sup> .

إن أهم خصائص الحضارة الإسلامية على الإطلاق هي اتصال العقيدة الإسلامية والقيم الإنسانية النابعة منها بالنظام الاجتماعي القائم عليها ، فالفصل بينهما يؤدي إلى سقوط الأخلاق الذي يؤدي بدوره إلى تحلل النسيج الاجتماعي ، وضعفه وموته ، مهسا كانت القوة الاقتصادية .

الأصل الرابع : هو أن تكون " الأسرة " هي قاعدة البناء الاجتماعي ، وأن تقوم على أساس التخصص بين الزوجين في العمل ، وأن تكون رعاية الجيل الناشئ هي أهم وظائف الأسرة ، فالمجتمع الذي هذا شأنه هو المتحضر . . . ذلك أن الأسرة علي هذا النحو ، في ظل المنهج الإسلامي كما يقول الأستاذ سيد قطب : تكون هي البيئة التي تنشأ وتنسى فيها القيم والأخلاق " الإنسانية " . . . ممثلة في الجيل الناشئ ، والتي يستحيل أن تنشأ في وحده أخرى غير وحدة الأسرة ، فأما حين تكون العلاقات الجنسية ( حرة كما يسمونها ) والنسل ( غير الشرعي ) هو قاعدة المجتمع . . . حين تقوم العلاقات بين الجنسين على أساس الهوى والنزوة والانفعال ، لا على أساس الواجب والتخصص الوظيفي في الأسرة . . . حين تصبح وظيفة المرأة هي الزينة والغواية والفتنة . . . وحين تتخلى المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الجيل الجديد ، وتؤثر هي ، أو يؤثر لها المجتمع : " أن تكون عاملة في أي مكان ، بالنهار أو بالليل " . . حين تنفق طاقتها في الإنتاج المادي " و " صناعة الأدوات " . ولا تنفقها في " صناعة الإنسان " . لأن الإنتاج المادي

<sup>٩٨</sup> علي الطنطاوي : مرجع سابق .

<sup>٩٩</sup> المرجع السابق . ١٢١ .

<sup>١٠٠</sup> المرجع السابق .

<sup>١٠١</sup> أنور الجندي . مرجع سابق . ٢٢٧ .

يؤمن أعلى وأعز وأكرم من "الإنتاج الإنساني" عندئذ يكون هذا هو "التخلف الحضاري" بالقياس الإنساني، أو تكون هي الجاهلية بالمصطلح الإسلامي.<sup>١٠٢</sup>

"لقد شاءت فطرة الله أن يكون ميدان إنشاء العنصر الإنساني، وتنشئته هو ميدان عمل المرأة بالدرجة الأولى، ويقارن الشيخ محمد متولي الشعراوي بين ميدان عمل المرأة هذا وبين ميدان عمل الرجل خارج البيت، ويرى أن ميدان عمل المرأة أهم وأدق من ميدان عمل الرجل لأن الرجل بحكم عمله خارج البيت إنما يتعامل مع أشياء هي كلها مسخرة لخدمة الإنسان الذي هو أكرم ما في الوجود كله، أما المرأة فمهمتها هي التعامل مع هذا المخلوق الراقي الكريم على الله وهو الإنسان تتعامل معه كزوج فيسكن إليها، وتتعامل معه جنباً في بطنها، ووليداً في حضنها، ورضيعاً تغدوه، وتحنر عليه، وطفلاً وصيياً وشاباً تربيته وترعاه، وتصرب له المثل"<sup>١٠٣</sup>.

"فالمرأة لم تزود بالعطف والحنان والرفق بالطفولة والقدرة على فهمها وإفهامها والسهر على رعايتها في أطوارها الأولى لتهجر البيت وتلقي بنفسها في غمار الأسواق والدكاكين... وسياسة الدولة كلها ليست بأعظم شأنًا، ولا بأخطر عاقبة من سياسة البيت، لأنهما عالمان متقابلان: عالم العراك والجهاد، يقابله عالم السكنية والاطمئنان، وتدير الجيل الحاضر يقابله تدير الجيل المقبل... وكلاهما في اللزوم وجلالة الخطر سواء"<sup>١٠٤</sup>.

والخلاصة: أن الإسلام هو الحضارة، والمجتمع الإسلامي هو المجتمع المتحضر، لأنه يؤمن أن أعداد جيل يتزقي في خصائص "الإنسانية" ويتعد عن خصائص "الحيوانية"، لا يمكن أن يتم إلا في "محضين" أسرة قائمة على أساس الواجب والتخصص، ومحوطة بضمانات الأمن والاستقرار العائلي، فهذا ما يوفر للجميع مقومات التزقي على غخط التقدم الإنساني، ولذلك جعل الله الزوجة شق النفس، ومحض السكنية والأمن والاستقرار، فهذا هو المحضين "الإنساني" الوحيد الذي يعد الأجيال التي تسير صعداً على خط التقدم الإنساني. قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم: ٢٠).

الأصل الخامس: هو أن يقوم الإنسان بالخلافة في الأرض على أساس الإحسان في العمل، ولكن ما المقصود بالعمل في التصور الإسلامي؟ العمل صورة من صور "العبادة" ويتضح ذلك في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (الكهف: ٣٠). فالحضارة في التصور الإسلامي لا تقوم على مجرد العمل، بل تتطلب ضرورة "الإحسان في العمل"، والإحسان في العمل ذو شقين: الشق الأول هو استخدام أقصى درجات المهارة والإتقان فيه. يؤكد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه﴾، ولكن هل يكفي الإتقان في العمل والمهارة في أدائه لبناء حضارة حقيقية؟ الإجابة الصحيحة، هي أن ذلك بالتأكيد لا يكفي، وهنا نصل إلى: الشق الثاني لمعنى "الإحسان في العمل

<sup>١٠٢</sup> سيد قطب: معالم في الطريق، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.

<sup>١٠٣</sup> عبد الغنى عبود: الأسرة المسلمة، والأسرة المعاصرة، الكتاب الثامن في الإسلام وتحديات العصر (القاهرة) دار الفكر العربي ص ١٤٣.

<sup>١٠٤</sup> هباس مسعود العقاد: المرأة في القرآن، القاهرة، دار الإسلام ١٩٧٣ م، ص ٤٦ - ٤٧.

" ، وهو الترجه بالعمل إلى الله ، فالعمل عبادة ، والإحسان في العمل مرتبط بمفهوم " الإحسان " في التصور الإسلامي ، وهو " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، إذن فالإنسان المتحضر والمجتمع المتحضر هو الذي يؤدي العمل بأقصى درجات المهارة والإتقان . مع مراعاة الله في أدائه ، فالعامل المتحضر المسلم يرى الله في عمله ، أو يؤمن بأن الله يراه <sup>١٠٥</sup> .

والخلاصة هي أن الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي مرتبطان ارتباطاً عضوياً ، فعندما يكون الجانب العلمي للثقافة تطبيقاً واعياً وعملياً صحيحاً للجانب المعياري فيها ، مع استخدام كل معطيات الإنسان والزمان والمكان : تكون الحضارة ، فالحضارة - كما سبق أن قلنا - هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها : إنسانياً ، وخلقياً ، وعلمياً ، وأدبياً ، واجتماعياً ، وفق منهج الله وشريعته <sup>١٠٦</sup> ، وعندما يصل المجتمع المتحضر الإسلامي إلى هذه الدرجة ، ويظل متمسكاً بمقومات حضارته وهي : أفراد الله بالعبودية - ومن ثم إفراده بالحاكمية - واعتبار العقيدة هي آصرة التجمع الرئيسة . واعتبار إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع ، واعتبار الأسرة هي قاعدة البناء الاجتماعي ، وقيام الإنسان بالخلافة في الأرض على أساس الإحسان في العمل . . . عندئذ يتبرأ المجتمع المتحضر الإسلامي مكانته اللاتقة في التربية الإنسانية وقيادتها إلى الحق والعدل الأزليين الكائنين في بيضة الكون ، وفي فطرة الإنسان ﴿ ولرأ أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . . . ﴾ (الأعراف : ٩٦) . .

١٨ - لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الحضاري في التصور الإسلامي ، وأن يختار لهم المحتوى نصوص القرآن التي توضح لهم هذه الحقيقة .

### طبيعة المعرفة في الإسلام

مقدمة : إن الله - سبحانه وتعالى - استخلف الإنسان في الأرض لعمارتها ، وليتخذ من عمارتها تحقيقاً عملياً لعبادة الله سبحانه وتعالى ، ولا سبيل لهذا الإنسان ليقوم بذلك إلا عن معرفة وتربية وتوجيه . والمعرفة والتربية والتوجيه . . . كل هذا هو شريعة الله للإنسان التي يستضيء بها في تحقيق عمارة الكون عمارة تعبدية . يقول مذكور : إن الإسلام هو شريعة إلهية ، ونظام مشتق منها لحكم الحياة . والإنسان في هذا النظام هو خليفة الله في الأرض ، فهو مستخلف من الله فيها للعبادة ، ومقتضى العبادة أن يساهم الإنسان - بإيجابية وفاعلية - في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله ، ولكي يقوم الإنسان بواجبات الخلافة على نحو رباني وإيجابي وواقعي ، فلا بد من تربيته وإعداده <sup>١٠٧</sup> . والتربية أساس المعرفة ، والمعرفة لازمة من لوازم إعمار الأرض وإحسان الخلافة فيها حتى يتحقق ما وجد الإنسان من أجله ، فما هي التربية ؟

<sup>١٠٥</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق ص ٢٥٩ .

<sup>١٠٦</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية الإسلامية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ص ٢٦١ .

<sup>١٠٧</sup> علي أحمد مذكور ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، المرجع السابق ص ٢٦٥ .

## مفهوم التربية : ١٠٨

التربية عملية متشعبة ذات نظم ، وأساليب متنوعة ، تنبع من التصور الإسلامي للمكون والإنسان والحياة . وتهدف إلى إيصال الإنسان شيئا فشيئا إلى الدرجة الكاملة التي هيأها الله لها وبذلك يستطيع القيام بحق الخلافة في الأرض ، عن طريق إعمارها ، وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله ، وتفصيل ذلك : إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة " التربية " أصولا لغوية ثلاثة كما يقول الأستاذ عبدالرحمن الباني <sup>١٠٩</sup> :

الأصل الأول : رَبًّا - يُرَبُّو ، بمعنى زاد ونما ، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى : ﴿ وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله ﴾ ( الروم : ٩٣ ) ، ﴿ يحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ ( البقرة : ٢٧٦ ) .

الأصل الثاني : رَبًّا يُرَبِّي عَلَى وزن حَفَى يُحْفَى ، ومعناه نشأ وترعرع ، وعليه قول ابن الأعرابي :

فمن يك سائلا عني فإني بمكة منزلي وبها رأيتُ

الأصل الثالث : رَبٌّ يُرَبُّ ، بوزن مد يمد ، بمعنى أصلحه وتولى أمره ، وسار وقام عليه ورعاه . . . وقد اشتق بعض الباحثين من هذه الأصول اللغوية تعريفاً اصطلاحياً للتربية : قال الإمام البيضاوي " المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية " في تفسيره : " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " : الرب في الأصل بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ، ثم وصف به تعالى للمبالغة .

وفي كتاب مفردات الأصفهاني المتوفى في ٥٠٢ هجرية " الرب في الأصل التربية " ، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ، وقد استنبط الأستاذ الباني من هذه الأصول اللغوية ، ومما قاله البيضاوي والأصفهاني أن التربية تتكون من العناصر التالية :

أولها : المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها .

ثانيها : تنمية مواهبه واستعداداته كلها ، وهي كثيرة ومتنوعة .

ثالثها : توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب كلها نحو صلاحها والاتق بها .

رابعها : التدرج في هذه العملية ، وهو ما يشير إليه البيضاوي بقوله : " شيئا فشيئا " والأصفهاني بقوله : " حالا فحالا " ثم يستخلص الأستاذ الباني من هذه العناصر نتائج أساسية في فهم التربية :

أول هذه النتائج : أن التربية عملية هادفة ، لها أغراضها وأهدافها وغايتها .

النتيجة الثانية : أن المربي الحق على الإطلاق هو الله . . . خالق الفطرة وواهب المواهب ، وهو الذي سننا لنموها وتدرجها وتفاعلها ، كما أنه شرع شرعا لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها .

النتيجة الثالثة : أن التربية تقتضي خططا متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية وفق ترتيب منظم صاعد ، ينتقل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة .

<sup>١٠٨</sup> انظر المرجع السابق .

<sup>١٠٩</sup> عبد الرحمن الباني ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٩٨٣ م من ٧-١٤ .

النتيجة الرابعة : أن عمل المربي تال وتابع لخلق الله وإيجاده . كما أنه تابع لشرع الله ودينه وأحكامه <sup>١١٠</sup> .  
وقد أجمل الشيخ محمد متولي الشعراوي هدف التربية بقوله : " إن التربية هي إيصال المربي إلى درجة الكمال " التي هيأه الله لها ، فالتربية هي حيثية إيماننا بالوهية الله ، فنحن آمننا بالله معبودا ؛ لأننا آمننا به ربا ، ولذلك يقول الحق سبحانه حين يطلب منا أن نوجه الحمد لصاحب النعمة " الحمد لله " وحيثية ذلك أنه " رب العالمين " <sup>١١١</sup> .  
بين التربية والتعليم :

فالهدف من التربية إذن هو إيصال المربي إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها ، فهي تشمل جميع جوانب النفس الإنسانية . وهي تستعين برسائل منها " التعليم " فالتعليم وسيلة للتربية ، ومدلوله أضيق من مدلولها لأنه مرتبط بموضوع معين .

و"التعليم" قد يهدف إلى تحصيل المعرفة ، أو التدريب على مهارة ، أو حفظ نص من النصوص الأدبية ، أو قانون من قوانين الرياضة ، أو الطبيعة " .

و"التربية" تتخذ كل ذلك لتربية المشاعر ، وتنمية الإحساس بالذوق والجمال في الكون الذي صنعه الله ، وتربية الضمير والوجدان . وتربية الإرادة الحرة الراجعة ، والقيم الإنسانية ، والقيم الخلقية التابعة لها . وأنماط السلوك التابعة لها .

" ومع ذلك فإن كل عمل تعليمي جيد ، لا بد أن يكون له هدف تربوي . . . أي إن التعليم المثالي إنما هو تربية ، ولكنه - في الاصطلاح - يظل - مربوطا بموضوع ما " <sup>١١٢</sup> في حين أن التربية تتناول النفس الإنسانية ، أو الشخصية الإنسانية كلها .

إذن فالتربية والتعليم ليسا متعارضين ، ولا منفصلين ، بل هما متآزران ومتكاملان ؛ ويترب على هذه العلاقة تطبيقات كثيرة في تخطيط المناهج وتطويرها ، وفي إعداد الكتب ، وتصميم الوسائل ، واختيار طرق ووسائل التدريس والتقويم وممارسة العمل التربوي عسوما مع الناشئين في البيت والمدرسة واجتمع .

#### طبيعة التربية :

إذا كانت التربية هي إيصال المربي إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها ، عن طريق مراعاة فطرته ، وتنمية مواهبه وقدراته وطاقاته - بطريقة متدرجة وفق مراحل - وتوجيهها نحو الخير والحق والكمال فإن ذلك كله يتم وفق نظم وغايات العلم ، والفن والصناعة ، حسب مفهوم كل منها في منهج التربية الإسلامية .

<sup>١١٠</sup> عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع . دار الفكر العربي . بدون تاريخ ، ص ١٢-١٤ .

<sup>١١١</sup> محمد متولي الشعراوي : منهج التربية في الإسلام . القاهرة . دار المسلم . بدون تاريخ . ص ١١ . ١٢ وانظر تعريف التربية أيضا : سعد بن عبد الله بن جنيدل : أصول التربية الإسلامية ، الرياض . دار العلوم للطباعة والنشر . ١٩٨١ م ص ١١ - ١٤ .

<sup>١١٢</sup> عبد الرحمن الباني مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

يقول مذكور : فالترزية علم إخبار ، بحيث إنها إخبار عن الحقائق الكلية . والمعابير والقيم الإلهية الثابتة ، التي يتلقاها الإنسان ، فيسلم بها ، ويتكيف معها ، وهي علم من حيث إنها معرفة بقوانين الله في الكون التي تم اكتشافها من قبل .

والترزية علم إنشاء من حيث إنها محاولة إلى الكشف عن الحقيقة ومعرفة للقوانين والسنة التي خلق الله الكون عليها ولم تكتشف بعد ؛ فالترزية هنا علم من علوم البحث ومناهج البحث التي تعين الإنسان على الاكتشاف والاختراع والإبداع .

ويدخل فيها " العلم " بالعلوم الإنسانية ، التي تكتسب فيها المعرفة عن طريق الملاحظة ، والتفكير والإلهام ، ويدخل فيها " العلم " بالعلوم الطبيعية الذي هو الوصول إلى معرفة قانون الله بالملاحظة والتجربة والتطبيق ، إذن فالعلم وسيلة من وسائل التربية وغاية لها ، ولكن من السفاهة المزرية جعل العلم أو العقل مصدرا للمعرفة ، فالمصدر هو الله ، ومن الجهل القول بأن العلم قد انتصر على الطبيعة ، أو قهرها ، فالعلم ما هو إلا الوصول إلى القانون الطبيعي الذي طبع الله الكون عليه ، والطبيعة ما خلقت لتقهر ، خلقت لتكون في خدمة الإنسان ، والإنسان لا يستطيع أن يقهرها ، ولكن يستطيع أن يتلطف معها ويتعرف على قوانينها التي أودعها الله فيها ، وبذلك يستفيد من خيراتها ومكوناتها<sup>١١٣</sup> .

والترزية فن ، وعندما نتكلم عن التربية كفن - كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الباني - : " فإنا لسنا بإزاء الإخبار عن واقع ، أو الكشف عن حقيقة ، ولنا بإزاء تحقيق أهداف علمية لسد حاجتنا الأساسية . وإنما نحن أمام تحقق أهداف تتصل بتحسين الحياة وتجميلها كما يقول الإمام الشاطبي . فالفن تعبير عن القيم الإنسانية : أخلاقية كانت ، أو جمالية ، فهو ذو أثر يمتع أنفسنا ، ويعنى حياتنا ويريح عنا آثار البلادة والرتابة التي تصيبنا نتيجة اتصالنا الدائم بقبضة الطين التي هي جزء من طبيعتنا .

والترزية كفن ، تهدف إلى الوصول بالمربي إلى درجة الإتقان ، أو الإحسان في الأداء ، فقيمة كل إنسان بما يحسن ، والوصول بالإنسان إلى درجة أن يكون محسنا ، هو أعلى درجات الفن ، وأرقى ما يهدف إليه العمل التربوي<sup>١١٤</sup> .

والترزية صناعة ، فهي عملية ذات قواعد وأصول ، تسير وفق منهج لتحقيق أهداف معينة . والترزية - بهذا المعنى - مهنة ، أو صناعة ، تهدف إلى إقدار المتعلم على عمل معين . بحيث يتناوله بالتغيير والتعديل ، والتطوير والمعالجة ليصبح على شكل معين .

وبهذا المعنى تكلم ابن خلدون عن التعليم باعتباره صناعة ، أو مهنة ذات مهمة عملية ، لها أصولها وقواعدها المحكمة التي تتحقق بمراعاتها أهدافها<sup>١١٥</sup> .

<sup>١١٣</sup> علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

<sup>١١٤</sup> عبد الرحمن الباني : مرجع سابق ، ص ١٩ . ٢٠ . ٢١ .

<sup>١١٥</sup> انظر : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، الباب السادس (فصل في أن التعليم للعمل من جملة الصناعات) ص ٤٣٠ .

والتربية ثابتة ومتطورة : ثابتة فيما يتصل بأهدافها العامة ، وثابتة أيضا فيما يتصل بمحتواها الخاص بالحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة ، ومتطورة فيما عدا ذلك . وتطورها إنما يكون وفقا للقواعد الثابتة في منهج الله ، وفي ذلك يقول مذكور : " وإذا كانت التربية ثابتة فيما يتصل بأهدافها العامة كبناء الإنسان العابد لله ، القادر على القيام بحق الخلافة في الأرض وفق منهج الله ، وإذا كانت ثابتة أيضا فيما يتصل بمحتواها الخاص بالحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة ، فإنها متطورة فيما بعد ذلك حيث إنها تمد الإنسان الذي يعمر الحياة ويرقيها في كل زمان ، وفي كل مكان ، وفق ظروف الزمان وظروف المكان ، لكن ذلك كله إنما يكون وفقا للقواعد الثابتة في منهج الله ، وفي إطارها ، وحول محورها .

١٩ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ التربية بمعناها الشامل وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم هذه الحقائق من خلال اختى المقرر .

#### العلم فطرة الله في الإنسان :

إن العلم يشرف ويتفاضل بحقيقة ما يتعلق به ، وأسمى العلوم هو ما يتعلق بالله - سبحانه وتعالى - ولقد شاء الله الكريم عطاؤه ، العظيم منه ، على هذا الإنسان المتخارق لله أن يعطيه أول ما يعطيه ، وأن يمن عليه أول ما يمن ، بأعظم العلوم ، فعرفه به سبحانه ؛ عرفه به ربا خالقا قادرا لها واحداً . فما أعظم هذه النعمة : نعمة العلم والمعرفة برب العالمين ، وما أعظمه من " إقرار بالمعلوم ، وما أكرمها من شهادة يوقعها البشر أمام ربهم وما أكده من ميثاق : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ .

وشرف العلم هنا أن المعلوم به والمكتسب منه ، فرق المال والجاه . . . فرق الفوق لا فوق فرقه ، فالمعلوم به هو الله الإله الذي لا إله إلا هو ، ومن عرف الله كما يجب المعرفة فقد عرف كل شيء وأغناه علمه هذا عن كل شيء فهو علم بالترحميد ، ولذا كان الداعي إلى هذا العلم هو الله ، والمدعو إليه هم بنو آدم كلهم ، والإجابة منهم جميعا : بأن الله رب العالمين ، فأودعها - سبحانه - فطرة في الجميع يولدون عليها لا استثناء ولا شذوذ . وفي ذلك يقول المولى سبحانه : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف : ١٧٢) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تولد بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جمعاء ؟ " (رواه الشيخان) .

ولذا فإننا لو تأملنا الآية الكريمة السابقة ، لوجدنا أنفسنا أمام مشهد كوني رائع باهر ، مشهد فريد لا تعرف اللغة له نظيرا في تصوراتها الماثورة ، إنه مشهد العلم بالألوهية ، والإيمان والإقرار بالوحدانية . " مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق ، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود ، تؤخذ في قبضة الخالق الربوبي ، فيسأها : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ فتعترف له سبحانه بالربوبية ، وتقر له بالوحدانية . وهي منشورة كالذر بمجموعة في

قبضة الخالق العظيم " ١١٦ .

ويقول مذكور : " إنني أرى أن هذه الآية الكريمة ترشدنا في صراحة ووضوح إلى ما يأتي :

أولاً : أن العلم بالألوهية والوحدانية - وهو غاية كل علم - فطرة الله في الطبيعة الإنسانية ، والانحراف عن هذا العلم هو انحراف عن فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولهذا يجب مقاومته بجميع الوسائل لرد الإنسان إلى الفطرة .

ثانياً : يترتب على " أولاً " ، أن الأخذ بأسباب العلم فريضة لازمة لتأكيد الفطرة ، والحفاظ عليها ، والانحراف عنها يتبعه الانحراف عن الإيمان بوحدة الله ، وما يترتب عليه من انحراف الإنسان عن وظيفته ألا وهي عمارة الأرض ، وترقيتها وفق منهج الله .

ثالثاً : وبما أن العلم فطرة الله في الإنسان ، وهو سبيل الإنسان إلى معرفة الله وخشيته ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وهو سبيله إلى عمارة الأرض وترقيتها ، فإن من الضروري إذن استمراره في عملية التعليم والتعلم ، إن حاجات الحياة متغيرة متجددة بتغير الحياة نفسها ، وهذا يستلزم - بطبيعة الحال - استمرار الإنسان في التعليم لينفض عن نفسه وعن مشاعره ما يكون قد علق بها من صلب أو ببلادة نتيجة الانغماس في الحياة تحت وطأة قبضة الطين ، ومطالبها .

إن ترقية الحياة وفق منهج الله عملية مستمرة دائمة ، وهي بالتالي تتطلب معلومات ومهارات متجددة . . وهذا كله يتطلب التربية والتعليم والتدريب بصفة دائمة ومستمرة . إن الإنسان الذي يقوم بحق استخلاف الله في الأرض ، هو الذي يأخذ بكل الأسباب التي تساعد في أداء هذه الغاية أحسن أداء ، فالمسلم مطالب بحسن الأداء لا بمجرد الأداء ، وهذا يتطلب أن يكون الإنسان منطوراً أو متجدداً وملماً بكل ما يستجد في ميدان عمله من معارف وخبرات ومهارات .

إذن فترقية الحياة وفق منهج الله تتطلب التربية المستمرة ، بل وحسن التربية ١١٧ .

٢٠ - لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن العلم بالله الواحد الأحد فطرة الله في الإنسان ، وضرورة أن تقدم لهم النصوص القرآنية التي تحيي فيهم هذه الفطرة ضمن المحتوى المقرر .

المعرفة وقيادة الحياة الإنسانية :

مقدمة : المعرفة الإنسانية في الإسلام كالعالم وسيلة ، وليست غاية في ذاتها ، فغاية المعرفة إقدار الإنسان على المساهمة ، بإيجابية وفاعلية في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله ، وتستند المعرفة الإنسانية في الإسلام - نظرية وعملية - إلى أصول ربانية ، لا إلى نظريات عقلية ، ولا إلى فلسفات وصعيرة من صنع البشر .

مما يمتاز به الإنسان : ولاشك أن الإنسان يمتاز على سائر المخلوقات بقدرته على اكتساب العلم والمعرفة عن

١١٦ سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ص ١٣٦٢ .

١١٧ علي أحمد مطهر ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

طريق الطاقات التي منحها الله له ، وهي " السمع والبصر والفؤاد " والتي يقول عنها المفكر الإسلامي الجليل الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله: " إن هذه الكلمات لم ينزل بها الوحي في كتاب الله لتعنى فقط مجرد القدرة على الرؤية والسمع والتفكير ، ذلك لأن " السمع " معناه : إحراز المعرفة التي اكتسبها الآخرون ، و " البصر " معناه تمتيتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث ؛ و " الفؤاد " معناه تنقيتها من أدرانها وأوشابها ثم استخلاص النتائج منها ، وهذه " القوى " الثلاث إذا ما تضافرت بعضها على بعض ، نجمت عنها تلك " المعرفة " التي من الله - سبحانه - بها على بني آدم ، هذه المعرفة التي بها وحدها استطاع الإنسان أن يستخدم سائر المخلوقات ، ويسخرها لإرادته <sup>١١٨</sup> .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لَتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ( النحل : ٧٨ ) ، فهذه النعم الثلاث لها من جليل الأمر وعظيم الأثر في حياة الإنسان ما يجعله يجدد الشكر آناء الليل وأطراف النهار عل الله عنه يرضى ، ويوحى بذلك التعبير بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد والحدوث ، وهذه النعم الثلاث بها تجدد المعرفة للإنسان : السمع الذي يلتقط خبرة الآخرين ، والبصر الذي يتفحصها ويمسها ، والفؤاد الذي ينقيها ، ونظرا لجلال هذه النعم وعظم آثارها قال فيها المولى سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . وحقا إن هذا العطاء الجليل يجب أن يستغل فيما يفيد به الإنسان في قيادة البشرية كلها ، فإذا صرفه الإنسان في غير ما جعل له ، حق للمولى سبحانه أن يسأله عنه ﴿ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ .

يقول المودودي : " ولو أردت التعمق في تأمل هذه الحقيقة لاهتديت في النهاية إلى أن هؤلاء الذين لا يستخدمون هذه " القوى " أو يستخدمونها في حدود ضيقة ، هم الذين كتب عليهم العيش في حالة من التأخر والانحطاط تحت كنف الآخرين وسلطانهم ، أما الذين يوظفون هذه " القوى " ويستخدمون كل إمكاناتهم ، فهم على العكس يظفرون بالسيادة والسيطرة ، وهم الذين يصبح لهم قيادة الشعوب وتوجيهها <sup>١١٩</sup> .

ونحن كأمة مسلمة - خير أمة أخرجت للناس - لا يجب أن نعمل على استرداد الرعامة من أجل الرعامة في حد ذاتها ، ولا من أجل خلع الآخرين من مواقع القيادة البشرية كهدف في ذاته . بل كوسيلة لإقرار منهج الله في الأرض ، والأخذ بيد سائر الأمم نحو هذا الهدف الأعظم ، فالأمر المؤكد هو أننا لن نحقق هذا الأمل المعقود علينا إذا لم نظفر بمكان القيادة من القافلة الإنسانية <sup>١٢٠</sup> .

### متطلبات عمارة الأرض :

<sup>١١٨</sup> أبو الأعلى المودودي : المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم . جمعه وقدم له . وعلق عليه محمود مهدي . الاستانبولي . ط ٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . ص ٨ .

<sup>١١٩</sup> المرجع السابق ص ٨ - ٩ .

<sup>١٢٠</sup> المرجع السابق ص ١٣ - ١٤ .

يقول مذكور<sup>١٢١</sup> : " إن قيام الإنسان بعمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله يتطلب من الإنسان القيام بالأعمال التالية بالترتيب :

أولاً : تطبيق منهج الله في الحياة ، والمتنثل في " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله " " إن العبودية المطلقة لله وحده - وهي الشطر الأول لركن الإسلام - هي المدلول المطابق لشهادة أن لا إله إلا الله ، والتلقي في كيفية هذه العبودية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشطر الثاني لهذا الركن ، وهو المدلول المطابق لشهادة أن محمداً رسول الله " <sup>١٢٢</sup> .

ثانياً : إن تطبيق منهج الله في الحياة المتنثل في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يدفع الإنسان إلى أن يستخدم كل قواه وطاقته في العلم والمعرفة .

ثالثاً : ما سبق يدفع الإنسان إلى استخدام كل قوى العلم والمعرفة في استغلال طاقات الأرض ومدخراتها وخيراتها من أجل خير الإنسان والإنسانية جميعاً .

رابعاً : إن كل ما سبق يدفع بالمسلمين لرفع القيادة من القافلة الإنسانية .

خامساً : إن استرداد المسلمين إلى موقع القيادة يمكنهم - كما فعلوا سابقاً - من نشر منهج الإسلام ، وحضارة الإسلام ، وثقافة المسلمين ، بما فيها من حقائق ومعايير وقيم ومثل باقية خالدة ، وما فيها من طرق وأساليب راقية " .

إذن فغاية المعرفة في الإسلام تطبيق منهج الله ، قال تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ ( البقرة : ٢٨٢ ) . والتقوى هي أساس المعرفة .

ومن هنا فإن المعرفة التي يهدف منهج التربية لأصول إليها هي المعرفة التي تؤدي إلى تغيير في السلوك الإنساني ، وفي واقع الحياة الإنسانية ، أما المعرفة التي لا تحقق ذلك فإنها لا تحو الجاهلية ولا تنجي أصحابها من عذاب الله ، وهذا ما سجله القرآن على مشركي العرب ، قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ ( لقمان : ٢٥ ) ، ﴿ قل لمن الأرض ومن عليها إن كنتم تعلمون ؟سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون ؟ ﴾ ( المؤمنون : ٨٤ - ٨٩ ) .

لا فائدة من المعرفة السطحية : فالمعرفة الذهنية السطحية لا فائدة منها ترجى ؛ لأنها لم تحقق المرجو منها سلوكاً وعقيدة ولذا يقول الأستاذ محمد قطب : " . . . فما دلالة ذلك على وجه التحديد ؟ دلالة أن المعرفة " الذهنية " ليست هي المعرفة التي يريدونها أو يعترف بها الإسلام ؛ فإنها معرفة سطحية وميتة ، لا تفعل شيئاً في واقع الحياة ، ولا تؤثر شيئاً في سلوك الإنسان ، وإذن فوجودها كعدم وجودها سواء ، بل ينبغي أن تنتزع البذرة الفاسدة كلها بما بقي

<sup>١٢١</sup> انظر : علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ٢٩٥ - ٢٩٦ .

<sup>١٢٢</sup> سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

فيها من أجزاء سليمة ، وتستتبت البذرة السرية كلها من جديد " ١٢٣ .

المعرفة التي يقرها الإسلام : فالمعرفة التي يعتد بها الإسلام هي التي تقوم على أساس الإيمان بالله وتقواه ، ويتغير بها سلوك الإنسان إلى ما يزيد إيمانا وتقى ، ولا سبيل إلى هذه المعرفة إلا بقراءة القرآن وتدبره والعمل بما فيه عقيدة وقرولا وعملا ، قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ ( ص ٢٩ ) . وقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها ؟ ﴾ ( محمد : ٢٤ ) فقراءة القرآن وتدبر آياته للعمل الصالح والاعتقاد الصحيح هو المصدر الأول للمعرفة الإسلامية .

٢١ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الغاية من المعرفة هي تطبيق منهج الله ، وضرورة أن تقدم فهم النصوص القرآنية التي تؤكد لديهم هذا المفهوم ضمن المختبر المقرر .

### الفنون والآداب :

مقدمة : إن التصور الإسلامي الصحيح للكون والإنسان والحياة ولطبيعة العلاقات والارتباطات بينهما يوحى للإنسان بما في هذا الكون مما يحويه من جمال يتمثل في بديع صنعه ، يمد الإنسان حينما يريد التعبير عنه بالأسلوب الأدبي الرفيع الذي يتناسب مع النسق البديع لهذا الكون ، يقول مذكور : " إن الأدب هو تعبير فني جميل عن المعاني والأفكار والأشياء والأحداث نابع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، ولطبيعة العلاقات والارتباطات بينها " ١٢٤ .

والأدب كما يقول الأستاذ سيد قطب : " هو التفسير الشعوري للحياة . وهو منبعث من المنبع الذي تصب فيه جميع الفلسفات والديانات والتجارب والمؤثرات في بيئة من البيئات ، ولقد يكون الأدب أشد المؤثرات في تكوين فكرة وجدانية عن الحياة ، وفي طبع النفس البشرية بطابع خاص ، ومن هنا يجب أن يكون لنا أدب نابع من التصور الإسلامي " ١٢٥ ، ويقول : " الأدب - كسائر الفنون - تعبير مروح عن قيم حية ينفعل بها خبير الفنان . هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن عصر إلى عصر ، ولكنها في كل حال تنشق من تصور معين للحياة . والارتباطات فيها بين الإنسان والكون ، وبين بعض الإنسان وبعض " ١٢٦ .

ومن العبث محاولة تجريد الأدب أو الفنون عامة من القيم التي تحاول الدود عنها ، كذلك من العبث محاولة فصل تلك القيم عن التصور الكلي للوجود والحياة ، ولو أفلحنا في هذا الفصل - وهذا مستحيل - فلن نجد سوى عبارات خاوية أو جوفاء ، أو أصوات غفل ، أو أشكال بلا معنى . .

### علاقة الفن والأدب بالتصور الإسلامي :

<sup>١٢٣</sup> محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ج ٢ ، ط ١٩٨٨ م دار الشروق - القاهرة ١٩٦٠ ش جواد حسني ص ٢٧ .

<sup>١٢٤</sup> علي أحمد مذكور : تدريس فنون اللغة العربية ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤ م : ص ٥٣ .

<sup>١٢٥</sup> سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ص ٢٠٥ .

<sup>١٢٦</sup> المرجع السابق .

الإسلام تصور معين للحياة تنبثق منه قيم خاصة به ، فمن الطبيعي إذن : أن يكون التعبير عن هذه القيم ، أو عن وقعها في نفس الفنان ، ذا لون خاص <sup>١٢٧</sup> .

وأهم خاصية للإسلام أنه عقيدة ضخمة جادة فعالة . . . تملأ فراغ النفس والحياة ، وتستنفد الطاقة البشرية في الشعور والعمل ، وفي الوجدان والحركة ، فلا تبقى فيها فراغاً للقلق والحيرة ولا للتأمل الضائع الذي لا ينشئ سوى الصور والتأملات .

وأبرز ما فيه هو الواقعية العملية حتى في مجال التأملات والأشواق ، فكل تأمل هو إدراك أو محاولة لإدراك طبيعة العلاقات الكونية أو الإنسانية وتوكيد الصلة بين الخالق والمخلوق ، أو بين مفردات هذا الوجود ، وكل شوق هو دفعة لإنشاء هدف ، أو لتحقيق هدف ، مهما علا واستطال .

وقد جاء الإسلام لتطوير الحياة وترقيتها لا للرضا بواقعها في زمان ما أو مكان ما ، ولا بمجرد تسجيل ما فيها من دوافع وكوابح ، ومن نزعات وقيود ، سواء في فترة خاصة أو في المدى الطويل .

ومهمة الإسلام دائماً أن يدفع بالحياة إلى التجدد والنمو والترقي ، وأن يدفع بالطاقات البشرية إلى الإنشاء والانطلاق والارتفاع .

ومن ثم فالأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي للحياة ، قد لا يحفل كثيراً بتصوير لحظات الضعف البشري ، ولا يتوسع في عرضها ، وبطبيعة الحال لا يحاول أن يبرزها فضلاً عن أن يزينها بحجة إن هذا الضعف واقع فلا ضرورة لإنكاره أو إخفائه .

إن الإسلام لا ينكر أن في البشرية ضعفاً ، ولكن يدرك - كذلك - أن في البشرية قوة ، ويدرك أن مهمته هي تغليب القوة على الضعف ، ومحاولة رفع البشرية وتطويرها وترقيتها ، لا تبرير ضعفها أو تزيينها .

والنظرة الإسلامية لا تؤمن بسلبية الإنسان في هذه الأرض ، ولا بضالة الدور الذي يؤديه في تجديد الحياة وترقيتها ، ومن ثم فالأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي لا يهتف للكائن البشري بضعفه ونقصه وهبوطه ، ولا يملأ فراغ مشاعره وحياته بأطياف اللذات الحسية ، أو بالتشهيبي الذي لا يحقق إلا القلق والحيرة والحسد والسلب إنما يهتف لهذا الكائن بأشواق الاستعلاء والطلاقة ، ويملأ فراغ حياته ومشاعره بالأهداف البشرية التي تجدد الحياة وترقيها ، سواء في ضمير الفرد ، أو في واقع الجماعة .

وكذلك ليست وظيفة هذا الأدب تزوير الشخصية الإنسانية أو الواقع الحيوي . وإبراز الحياة البشرية في صورة مثالية لا وجود لها ، هو الصدق في تصوير المقدرات الكامنة أو الظاهرة في الإنسان ، والصدق كذلك في تصوير أهداف الحياة اللاتقة بعالم البشر ، لا بقطع من الذناب . الأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي أدب أو فن موجه باتجاه أن الإسلام حركة تجديد وترقية مستمرة للحياة ، فهو لا يرضى بالواقع في لحظة أو جيل . ولا يبرره أو يزينه مجرد أنه واقع فمنهته الرئيسة تطهير هذا الواقع وتحسينه ، والإيحاء الدائم بالحركة المحددة لصور من الحياة .

<sup>١٢٧</sup> انظر المرجع السابق . ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

إنه لمن الأهمية بمكان أن نقرر هنا أن الأدب أو الفن الإسلامي أدب أو فنٌ موجه . موجه بطبيعة التصور الإسلامي للحياة وارتباطات الكائن البشري فيها ، وموجه بطبيعة المنهج الإسلامي ذاته . وهي طبيعة حركة دافعة للإنشاء والإبداع ، وللتزقي والارتفاع ، ولست أعني التوجيه الإجباري على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ ، أعني أن تكيف النفس البشرية للتصور الإسلامي للحياة ، هو وحده سيأهلها صورا من الفنون غير التي يلهمها إياها التصور المادي أو أي تصور آخر ، لأن التعبير الفني لا يخرج عن كونه تعبيرا عن النفس كتعبيرها بالسلوك في واقع الحياة ، وأخيرا فإن الإسلام لا يحارب الفنون ذاتها ؛ ولكنه يعارض بعض التطورات والقيم المنحرفة التي تعبر عنها هذه الفنون ، ويقيم مكانه في عالم النفس تصورات وقيما أخرى قادرة على الإيحاء بحركات جمالية إبداعية ، وعلى إبداع صور فنية أكثر جمالا تبتثق انبثاقاً ذاتياً من طبيعة التصور الإسلامي وتتكيف بخصائصه .

٢٢ - لذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الإسلام يدعو أبناءه إلى البراعة في الفنون والآداب - في ضوء التصور الإسلامي للحياة - ، وضرورة أن يتضمن اختري ما يوضح ذلك .

#### الإعلام والإعلان :

#### الإعلام والإعلان من وسائل الثقافة والمعرفة :

فالإعلام والإعلان من وسائل الثقافة والمعرفة ، وعلى ذلك يجب أن يؤدي كل منهما الغرض المقصود منه بأسلوب يتناسب مع الأخلاق الإسلامية في الوسائل التي يستعان بها في تحقيق غرضها من : الكلمة الطيبة عملا بقول الله سبحانه : ﴿ ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ ( إبراهيم : ٢٤ ) ، ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ﴾ ( إبراهيم : ٢٥ ) ، وقوله سبحانه : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ﴾ ( إبراهيم : ٢٦ ) ، وقوله سبحانه : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ ( البقرة : ٨٣ ) ، والصدورة التي لا حرمة فيها ، فعلى القائمين على هذين الأمرين ألا يستخدموا ما حرمه الله ورسوله من مثل الصور التي لا تسمح الأخلاق الإسلامية بظهورها ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كل مصور في النار ؛ يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم ، قال ابن عباس : فإن كنت لا بد فاعلا ، فاصنع الشجر وما لاروح فيه " متفق عليه <sup>١٢٨</sup> .

#### موقف الإسلام من الإعلان والإعلام :

يجب أن يكون في الإعلام والإعلان الأمانة والصدق والإخلاص والنصح والإرشاد . . . والعمل على تثبيت الأخلاق الإسلامية ، ومحاربة الأخلاق الفاسدة ، ولا يستهين أحد بالكلمة ولا بالصحيفة . . . التي تدخل كل بيت ، وتؤثر في كل شخص ، وخاصة الشباب الذين يستمعون بتلهف إلى كل جديد وغريب مما يحملته إليهم الأثير من الداخل ومن الخارج ، فعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها

<sup>١٢٨</sup> الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : مؤسسة الرسالة . بيروت ، شارع سوريا ط ٦ ، ١٩٨٦ م . ص ٦٣٢ .

رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه " ١٢٩ .

٢٣ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف التلاميذ ما يجوز أن يتحقق به الإعلام والإعلان في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح ذلك .

### طبيعة المجتمع المصري

مقدمة :

منهج كل مجتمع مرآة تعكس تفكير هذا المجتمع ومشاعره ومعتقداته وأعماله : ولذا يرى علماء التربية " أهمية ربط التعليم بمتطلبات المجتمع وحاجاته ، الأمر الذي يستدعي دراسة مستفيضة لمتطلبات المجتمع وظروفه " ١٣٠ ، وعلى ذلك سوف يعرض الباحث لخصائص المجتمع المصري ومتطلباته وما يمكن أن تساهم به مناهج التربية الدينية الإسلامية في تحقيق هذه المتطلبات .

### أهم خصائص المجتمع المصري :

١- التدين :

ظهر الدين كظاهرة اجتماعية في الشعب المصري منذ أقدم العصور ولقد ظهر أول الأمر في مصر القديمة سنة ٣٠٠٠ ق .م عندما وصلت إلى درجة معقولة من التقدم الحضاري ، ثم ظهر بعد ذلك في بلاد فارس . ولم يبدأ التفكير الديني في الظهور في الشرق الأقصى قبل سنة ٦٠٠ ق .م ١٣١ . وظلت مصر منذ هذا الأمد البعيد إلى عصرنا هذا تعتز بديانتها وفي ذلك يقول هيرودوت " إن المصريين من أشد البشر تدينا ولا يعرف شعب بلغ في التدين درجتهم فيه " ١٣٢ .

٢- يتميز المجتمع المصري بتجانسه القائم بين كل أبنائه على اختلاف بيئاتهم ودياناتهم ، " وبهذا كانت مصر أول أمة بالمعنى القومي الصحيح ، وأول دولة بالمعنى السياسي الكامل وأطول دولة حافظت على وحدتها القومية عبر التاريخ " ١٣٣ ، وللعقيدة الأثر الفعال في تحقيق الوحدة والتجانس " فالمعتقدات هي وحدتها القادرة على خلق وحدة الشعور والتفكير الضروريين لاستقرار الجماعات " ١٣٤ .

٣- الاستمرار الحضاري : موقع مصر متميز ، ووحدة أبنائها قائمة دائماً ، بهذين الأمرين وغيرهما مما حباها

١٢٩ المرجع السابق : ص ٥٧٠ .

١٣٠ يوسف خليل يوسف : القومية العربية ودور التربية في تحقيقها ( القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر . ١٩٦٦ ) ص ٢٢٧ .

١٣١ سعد مرسي أحمد . سعيد إسماعيل على . تاريخ التربية والتعليم ( عالم الكتب ١٩٧٢ ) ص ٥٣ . ٧٥ .

١٣٢ محمد أبوزهرة : محاضرات في مقارنة الأديان ( مطبعة يوسف - بدون تاريخ ) ص ٥ .

١٣٣ جمال حمدان : شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ( مكتبة النهضة المصرية : ١٩٧٠ ) . ص ١٧ .

١٣٤ هوستاف لوبون الآراء والمعتقدات ترجمة هنى زهير ( القاهرة : المطبعة العصرية بدون تاريخ ) ص ١٥٧ .

الله به كانت " أسبق على طريق الحضارة من الهند وفارس والصين . . ١٣٥ " وأصبحت مصر مبعث الحضارات في العالم " فمن تراب هذا الوطن ونبتته خرجت ثورة حضارية كانت لها في زمنها أصداء بعيدة المدى . . وظلت رسالته الحضارية حلقة متصلة الأبعاد يلتقي على أرضها الحاضر بالماضي والحديث بالتقديم ، وهو في حاضره لا يقف عند اجترار ذكريات الماضي بل يسعى لاستيعاب حضارة العصر " ١٣٦ . ولما دخل الإسلام مصر خلق منها مزيجاً جديداً صقله بالينبوع العربي ، وهذبته بالروح الإسلامي ومازال يتعمده بعنايته ، ويعغديه باختياره حتى ألف منها حضارة جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية ١٣٧ . "

مبادئ المجتمع المصري وأهدافه وعلاقتها بمناهج التربية الدينية الإسلامية :

أولاً : الميدان الداخلي :

١- المجال السياسي

تعتبر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م بداية مرحلة جديدة في تاريخ مصر المعاصر ؛ لأنها عملت على التغيير الجذري للمجتمع الذي كان موجوداً قبلها ، إلا أن بعض عناصر القيادة في الدولة انحرف عن مجرى الثورة الشعبية ، كما أدى تركيز السلطة في أيدي أفراد قليلين يحتلون مراكز قيادة الثورة إلى سلبية الجماهير ؛ لأنها اطمأنت إلى أن هناك من يفكر ويخطط لها ، وأدى هذا أيضاً إلى : " بيروقراطية " ضارة تسربت إلى أجهزة الدولة مما حولها إلى أجهزة فوق المجتمع ، منعزلة عنه " ١٣٨ ، ثم تبنت القيادة الساسية بعد حرب ١٩٧٣ م تجربة ديمقراطية أخرى من أهم ملاحظاتها :

- سيادة القانون .

- توفير ديمقراطية واسعة لمجلس الشعب .

- حماية الجبهة الداخلية .

- إنشاء مجلس الشورى نوفمبر ( ١٩٨٠ ) ومن أهم اختصاصاته : إبداء الرأي في أمور الوحدة الوطنية ، وأساليب الحفاظ على مكاسب الاشتراكية ، ودراسة القوانين المكتملة للدستور ، وغير ذلك من الموضوعات التي تعال إليه مما يؤكد مظاهر الديمقراطية ١٣٩ .

- تعدد الأحزاب السياسية ، إيماناً بأن " الأحزاب وسيلة لتجميع المواطنين الذين يؤمنون بفكر معين ، وأداة لتربية القيادات الشعبية ١٤٠ ، كما أبان " رئيس الجمهورية " العلاقة التي يجب أن تقوم بين هذه الأحزاب بقوله : "

١٣٥ عبد الغني عبود : الله والإنسان المعاصر ( دار الفكر العربي ، ١٩٧٧ م ) . ص ٥٠ .

١٣٦ جمال حمدان : مرجع سابق ص ٤٧ .

١٣٧ عبد السلام بدوي : التطورات السياسية والاقتصادية في العالم الغربي - القاهرة . مطابع دار الكتاب العربي . ١٩٥٩ م . ص ٧٦ .

١٣٨ محمد الهادي عفيفي ، وآخران ، التربية ومشكلات المجتمع ، ط ٢ ( مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٣ ) ص ٦٢ .

١٣٩ انظر ، برنس أحمد رضوان ، سماح رافع محمد نظام الحكم في جمهورية مصر العربية . التربية الوطنية ، مراجعة عبد الحميد كمال حشيش ( جمهورية مصر العربية وزارة التربية والتعليم ) ١٤١٢ - ١٩٨٢ م ص ١٢٦ - ١٢٧ .

١٤٠ عفاف سعد حماد : " تقويم برنامج المواد التخصصية لشعبة الفلسفة والاجتماع بكليات التربية في جمهورية مصر العربية ( رسالة دكتوراه ، غير منشورة ) كلية التربية جامعة منمنما ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

يجب أن نتفق على أن الهدف القومي هو الهدف الأعلى والأسمي . وأنا إذا اختلفنا في سبيل تحقيق هذا الهدف فهو اختلاف لا خلاف ، وهو تبادل للرأى لا تبادل للاتهامات . .

وفي النهاية فإن على الأقلية أن تحترم أي الأغلبية ، كما أن على الأغلبية ألا تتجاهل رأي الأقلية <sup>١٤١</sup> . وتحقيق هذه المبادئ لا يتم في ظل "حكم الفرد المطلق ، ولا يستقر بحكم الصغرة المميزة ، بل إنها تولد وتسر وتزعزع في ظل المشاركة الجماعية <sup>١٤٢</sup> .

وإذا كانت الديمقراطية نظام حكم فالمقصود الحقيقي منها أن تنسر أسلوبا خاصا في التعامل والتفكير والحياة ، مما يتطلب " أنماطا خاصة من السلوك والعادات والمهارات هي ميدان التربية ، ولذا يجب أن يكون من أهداف التربية في مجتمعنا مساعدة المواطنين على مستوى ممارسة العلاقات الديمقراطية ، حتى يمكنهم تنظيم حياتهم عن طريق أنظمة ديمقراطية سليمة <sup>١٤٣</sup> .

وتتمثل علاقة التربية الدينية الإسلامية بالجمال السياسي في النقاط الآتية :-

أ - تقرر التربية الدينية الإسلامية <sup>١٤٤</sup> أن منح الدستور والقانون - التشريع للأمة الإسلامية - هو " القرآن والسنة " ، ولا يجوز أن يكون للمسلمين قانون يخالف شرع الله . صحيح أن نصوص الكتاب والسنة قد يختلف في فهمها اجتهادون ، إلا أن من قواعد التشريع الإسلامي أن خليفة المسلمين بالتعاون مع مجلس شورا يثق له أن يوجه فهما اجتهاديا على بقية الفهوم ، ويكون لهذا الترجيح قوة القانون وبذلك يكون للأمة الإسلامية تشريع واحد دستوري وقانوني <sup>١٤٥</sup> ، والأمل مرجى في سرعة تطبيق الشريعة الإسلامية على كافة مجالات الحياة بناء على " إعداد تقنية الشريعة الإسلامية ، ومراجعة قوانينها بالأزهر ، ومجمع البحوث الإسلامية ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية <sup>١٤٦</sup> .

ب- تدعم التربية الدينية الإسلامية " مجال التقويم للجماعة " فترسم للأفراد في إطار تفاعلهم السياسي - وسائل النقد البناء ، بهدف الوصول إلى قرارات أفضل ابتداء بالحكمة ، وانتهاء بالتي هي أحسن . قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ ( النحل : ١٢٥ ) ، وانطلاقا من أمانة الكلمة ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ( الأحزاب : ٧٠ ) . واعتبار التواصي

<sup>١٤١</sup> خطاب رئيس الجمهورية أمام مجلس الشعب والشورى . جريدة ساير ( العدد الأربعاء ٢ محرم ١٤٠٢ ، ٩ نوفمبر سنة ١٩٨١ ، ص ٣ .

<sup>١٤٢</sup> محمد حسنى مبارك : خطاب رئيس الجمهورية . جريدة الأخبار . العدد ٩٦٤٨ بتاريخ ١٥ مايو ١٩٨٣ . ص ٣ .

<sup>١٤٣</sup> يوسف خليل يوسف ، محمد سليمان شعلان . أيديولوجية جمال عبد الناصر ومفاهيمها في التربية والتعليم ( القاهرة ، مكتبة غريب . ١٩٧١ ) . ص ٦٠ .

<sup>١٤٤</sup> انظر في هذا : عبد المجيد سليمان حمروش . مرجع سابق ، ص ٦٨ وما بعدها .

<sup>١٤٥</sup> سعيد حوى ، الإسلام . ( مكتبة وهبة - ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م ) . ص ١١١ .

<sup>١٤٦</sup> محمد متولى الشعراوى : مشروعات تقنية الشريعة الإسلامية تحت الطبع ( اللواء الإسلامى " السنة الثانية . العدد - ٦٢ ( جسد الأثر ١٤٠٣ هـ - ٣١ مارس ١٩٨٢ م ) " ص ١٦ .

بالحق والبصير مهمة اجتماعية ، تكفل مراقبة الأفراد والمؤسسات ، وحماية الدولة من الخسائر يأخذ منها كل فرد بالقدر الذي يناسبه ، وعلى الوجه الذي يمكنه ، كما قال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لثني خسرا إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالبصير ﴾ (سورة : العصر) .

ج- تزود النشء بعاقبة أمر المجتمع إذا انحرف عن هدي الله ورسوله كما قال صلى الله عليه وسلم : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " <sup>١٤٧</sup> .

د- تزود النشء بقيم الشورى ، والعدل ، والمساواة " وهي أهم ما دعا إليه الإسلام " <sup>١٤٨</sup> .

هـ- تحرص التربية الدينية الإسلامية على حماية الوحدة الوطنية بما تقرّر مصادرها من " أن الدمييين والمعاهديين لهم مالمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، وأن الدولة تقاتل عنهم كما تقاتل عن جميع رعاياها " <sup>١٤٩</sup> .

وبهذا وبغيره الكثير نرى ما لمنهج التربية الدينية الإسلامية من دور يجب أن يقوم به في إعداد الفرد المسلم للحياة السياسية التي تعتمد على الشورى المعتمدة بدورها على الحرية ، والمساواة ، والعدالة . والسيادة لأحكام الله .

## ٢- المجال الاقتصادي والاجتماعي :

وسيتناول الباحث في هذا المجال بصورة عامة وموجزة :

أ- السياسة الاقتصادية . ب- السياسة التعليمية . ج- السياسة السكانية .

أ- السياسة الاقتصادية :

ويتدرج تحت هذه السياسة قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة . إذ هي الدعامات القومية للاقتصاد المصري .

## القطاع الزراعي :

قامت الدولة باستصلاح مئات الألوف من الأقدنة ، وتحويلها من أراض زمنية مجرداء إلى أراض زراعية خضراء ، كما حاولت الانتفاع بأقصى إنتاجية للأرض المزروعة ، ودراسة اقتصاديات المحاصيل ، واستنباط أنواع جديدة منها .

ولكن ذلك التقدم اعترضته معوقات حدثت من استخدام الأساليب التكنولوجية ، التي هي سبيل الإنسان

المعاصر إلى تطوير جميع جوانب حياته ، ومنها :

- عدم الارتباط بين أجهزة البحث العلمي وجهات التطبيق .

- عدم توفير الميزانيات اللازمة لإجراء البحوث والتطوير .

<sup>١٤٧</sup> أبو زكريا يحيى بن شرف اللطوي : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الطنبلي ه ص ١٠٥ .

<sup>١٤٨</sup> محمد محمود الصياد وآخرون : المجتمع العربي والقضية الفلسطينية ، تقديم وإعداد حسن الساعات (بيروت دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣) ص ١٥٨ .

<sup>١٤٩</sup> عباس محمود العقاد . الديمقراطية في الإسلام . ط ٥ ، (دار المعارف بمصر ١٩٧٩) . ص ١٢٠-١٢١ .

- نقص العمالة المدربة .

- عدم تطور التعليم الفني .

- القصور في تجميع الزراعات لإمكان استخدام الميكنة ولكن المسئولين في سعي دائم لنقل التكنولوجيا المختلفة لهذا القطاع<sup>١٥٠</sup> .

#### القطاع الصناعي :

بالصناعة يكون الغلب لشعب دون آخر ، ولدولة دون أخرى في شتى ميادين الحياة . ولذا اهتمت مصر بها وأنشأت وزارة الصناعة في يوليو ١٩٥٦ م ، وتم وضع قانون تنظيم الصناعة وتشجيعها ليكون دستوراً للصناعة<sup>١٥١</sup> .

ومن المعوقات التي تواجه التنمية الاقتصادية ما يلي :-

" أن الهياكل الإنتاجية والاقتصادية ، وأجهزة الخدمات والبحث العلمي والتطوير لم تعمل في ترابط وتكامل . .

- أن نسبة الزيادة في الأجور أعلى من نسبة الزيادة في الإنتاج .

- أن نسبة الصادرات إلى الواردات أقل من المعدل المستهدف .

- أن المعوقات التي تشير إليها تقارير القطاعات الصناعية- في مجملها- تتخلص في نقص مستلزمات الإنتاج والعمالة الماهرة ، والتمويل . . " <sup>١٥٢</sup> .

#### القطاع التجاري :

يعد هذا القطاع خير ضمان لسلامة هيكل الإنتاج الداخلي وتستهدف الجهود المبذولة التوسع في التجارة الخارجية بالإضافة إلى تنظيم التجارة الداخلية للقضاء على الاستغلال وتوفير احتياجات الشعب من جميع السلع بأسعار معتدلة ، إلا أن مصر تعاني من المشكلات التي تتعلق بالنواحي التجارية التي تشمل في عدم الاستفادة من موقعنا الجغرافي ، وعدم تطوير المشروعات السياحية التي تعتبر عنصراً أساسياً في الدخل القومي ، وعدم تنويع صادراتنا . . . " <sup>١٥٣</sup> .

#### سياسة التنمية الاقتصادية :

تستهدف التنمية الاقتصادية إقامة جهاز إنتاجي متقدم يكفل استثمار الموارد الطبيعية والبشرية بغرض رفع

الإنتاج الذي يحقق رفع الدخل القومي ومن ثم رفع نصيب الفرد منه .

ويتحقق ذلك عن طريق :

<sup>١٥٠</sup> المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا - شعبة البحث العلمي والتكنولوجيا ، نقل التكنولوجيا في مجال الإنتاج الزراعي ( القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٨٢ ) ص ٢ .

<sup>١٥١</sup> جمهورية مصر العربية ، مصلحة الاستعلامات ، الثورة في ٨ سنوات ( القاهرة يوليو ١٩٦٠ ) ص ١٨٧ .

<sup>١٥٢</sup> القاهرة : جمهورية مصر العربية ، المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا . تقويم تجربة مصر في نقل التكنولوجيا في مجال التنمية الصناعية ( ١٩٨١ ) ، ص ٣٤ - ٣٥ .

<sup>١٥٣</sup> جريدة الأهرام ، ( العدد ٣٤٥٦٣ بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٨٧ ) ص ٦ .

- الانفتاح الاقتصادي : الذي يتيح فرصة الاستثمارات اقليمية والخارجية للإسهام في المشروعات المختلفة في مصر بتشجيع القطاع التعاوني المتمثل في شتى المشروعات التي تكون ملكيتها تعاونية بين مجموعة من الأفراد ، كما يفسح المجال للقطاع الخاص ليساهم بمدخراته في التنمية ، فضلا عن تشجيع رأس المال العربي والأجنبي للاستفادة من فائض الأموال العربية ، وتطور التكنولوجيا في الدول المتقدمة .

- التخطيط القومي : ويقصد به " أن يسير نشاط الجماعة تبعا لخطة أو خطط تهدف إلى النهوض بها اقتصاديا واجتماعيا خلال مدة معينة . " <sup>١٥٤</sup> ، وقد مر التخطيط الاقتصادي في مصر منذ عام ١٩٥٢ م بمرحلتين : الأولى : مرحلة التخطيط الجزئي ( ١٩٥٢-١٩٦٠ ) بحيث تخصص كل خطة جزئية قطاعا معيناً ، والثانية : مرحلة التخطيط الشامل ( ١٩٦٠ حتى الآن ) حيث لجأت الدولة إلى وضع خطط شاملة ، ومن أمثلتها : الخطة الخمسية الأولى ( ١٩٦٠-١٩٦٥ ) ، الخطة الخمسية الثانية ( ١٩٦٥-١٩٧٠ ) الخطة العشرية ( ١٩٧١-١٩٨٠ ) . <sup>١٥٥</sup> .

#### ب - السياسة التعليمية :

أخذت السياسة التعليمية بالتوسع في جميع مراحل التعليم في مصر منذ ( ١٩٥٢ ) إيماناً منها بأن الدول تنافس بمدى تقدمها العلمي واستخداماتها للتكنولوجيا في عصر تتضاعف فيه المعرفة في زمن يسير . وعلى الرغم من هذا التوسع الكمي الهائل والتشريعات التي تناولت مراحل التعليم بالتعديل والتطوير لتحسين نوعية التعليم فإن هناك بعض المشكلات منها :

- التوسع الكمي على حساب النوع .

- ارتفاع نسبة الفاقد من التعليم .

مشكلة الأمية " الأمية الأبجدية بمعنى الجهل بمهارتي الكتابة والقراءة " <sup>١٥٦</sup> ، تعليم الكبار " محور الأمية الحضارية "

<sup>١٥٧</sup> . وتشير الإحصاءات أن نسبة الأمية في مصر "حسب تقديرات ١٩٧٦ م تبلغ ٦٥,٥ ٪ بين الأفراد من سن ١٠ سنوات فأكثر، وهي بين الإناث بالذات ترتفع إلى نحو ٧٠ ٪ " <sup>١٥٨</sup> .

ويرجع الاهتمام بهذه المشكلة إلى عوامل منها : " تغير المجتمع الإنساني من الاعتماد على قلة من الأفراد تفكر

وتحكم وتدبر إلى كثرة تشارك في التفكير والحكم والتدبر واتخاذ القرارات " ، وتغير الاقتصاد من الاعتماد

على الزراعة التقليدية إلى الأسلوب الحديث المتطور ، بالإضافة إلى تعقد الحياة الاجتماعية ، فالفرد أصبح عضواً في

جماعة كبيرة يشارك في المحافظة عليها ، وتوجيهها وإدارتها ، بما يتناسب مع التطور السريع وتفجر المعرفة البشرية

كما ونوعاً .

<sup>١٥٤</sup> عائشة راتب ، رفعت المحجوب : الدولة العصرية . التربية الوطنية للصف الثاني الثانوي وما في مستواد . تعديل سماح رافع

محمد ج م ع ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٨٢-١٩٨٣ ، ص ٤٢ .

<sup>١٥٥</sup> عبد المجيد سليمان حمروث ، مرجع سابق ، ص ٧٣-٧٤ .

<sup>١٥٦</sup> عبد الحميد سلام : المنخل في العلوم التربوية ( كلية التربية جامعة الأزهر ، ١٩٨٠ م ) ص ١٨٦ .

<sup>١٥٧</sup> محيي الدين صابر : دراسات حول قضايا التنمية وتعليم الكبار - القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٥ ، ص ٣٣ .

<sup>١٥٨</sup> سهام محمود العراقي : محاضرات في التربية ومشكلات المجتمع ( مكتبة أوفو بكفر الشيخ ١٩٨٠-١٩٨١ ) ، ص ٤٥ .

ومثل هذه التغيرات في السياسة والاقتصاد والاجتماع والمعرفة تتطلب " في الإنسان ليس فقط مجرد معرفة القراءة والكتابة . . إنها تتطلب عقلية واعية متطورة متسورة متجددة قادرة على مواصلة الحياة بصورة كافية ومرضية " <sup>١٥٩</sup> والجهود المبذولة للقضاء على الأمية عن طريق " الاهتمام المتزايد بتعميم التعليم بالنسبة للصغار وتعليم الكبار ، وذلك لأن جمهور الأميين الكبار هم الذين يشكلون حجب مشكلة الأمية في الوقت الحاضر <sup>١٦٠</sup> .  
ومما لاشك فيه أن صدور القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١ الذي مد فترة الإلزام في التعليم ليشمل المرحلة الإعدادية بعد ضمها إلى المرحلة الابتدائية تحت اسم " التعليم الأساسي " يعد خطوة جادة على طريق نحو الأمية .  
ج - السياسة السكانية :

ويبرز الباحث الحديث عن هذه السياسة في نقطتين هما : البطالة والزيادة السكانية .  
فبالنسبة للبطالة تبين الإحصاءات " أن لدينا قوة بشرية متزايدة كما يوجد لدينا قدر لا يستهان به من البطالة المقنعة " <sup>١٦١</sup> . وخطورة البطالة تكمن في تقليل حجم الادخار ضمن ما تكسب فيه .  
وبالنسبة لزيادة السكان : فهي في مصر من أعلى المعدلات في العالم المعاصر وخبراء الاقتصاد أمام هذه المشكلة فريقان : فريق يرى أن الزيادة السكانية تلتهم كل ثمار التنمية ، وفريق يرى أن هذه الزيادة نعمة يمكن الاستفادة منها بأساليب كثيرة في مقدمتها :

- تحويل التعليم النظري إلى تعليم مهني وفني .

- الخروج إلى المدن الجديدة .

- توفير فرص العمل المنتج بمرتبات مجزية .

- تحويل مقار التدريب لطوابير السعاة والكسالى في دواوين الحكومة إلى طاقات إنتاجية <sup>١٦٢</sup> .

مناهج التربية الدينية الإسلامية ، وأهميتها في النواحي الاقتصادية والتعليمية ، والسكانية :

من أهم النقاط البارزة فيما يمكن أن تسهم به هذه المناهج في نواحي الاقتصاد والتعليم والسكان ما يأتي :

١- التنسيق بين دعوات الاقتصاد الوطني من زراعة وصناعة وتجارة بحيث لا يقتصر الاهتمام على دعامة دون الأخرى ، ولذا يقول جمال : " على ولي الأمر في الجماعة الإسلامية المهيم على مصالحها أن يعمل جهده بما يحقق للأمة الانتفاع بهذه الوسائل الثلاث : الصناعة والزراعة والتجارة ، وأن يعمل على تنسيقها ولا يترك الأموال تتكدس في عنصر واحد منها " <sup>١٦٣</sup> . ومما أورده القرآن الكريم في هذا الشأن :

الحديث عن طعام الإنسان والأنعام بقوله : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض

<sup>١٥٩</sup> صلاح الدين جوهر: محاضرات في التربية ومشكلات المجتمع العربي والإسلامي-القاهرة-المطبعة العربية. ١٩٧٤م. ص ٢٣ .

<sup>١٦٠</sup> المرجع السابق ص ١٢٣ - ١٢٤ .

<sup>١٦١</sup> فؤاد محي الدين " بيان الحكومة أمام مجلس الشعب " جريدة مايو العدد ٤٣ بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٨١ ) ص ١١ .

<sup>١٦٢</sup> انظر جميل جورج "تحقيق حول زيادة السكان في قفص الاتهام-جريدة أخبار اليوم( العدد ١٩٤٧/٢٧/١٩٨٢ ) ص ٣ .

<sup>١٦٣</sup> أحمد . . . . .

شقا ، فأنبئت فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم ﴿ ( عيس : الآيات ٢٤-٣٢ ) .

كما أشار إلى جملة من الصناعات التي بها قوام الحياة . نذكر منها الإشارة إلى صناعات الحديد ، في قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴿ ( الحديد : ٢٥ )

الإشارة إلى صناعة الملابس بقوله تعالى : ﴿ . . . قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ﴿ ( الأعراف : ٣٦ ) : وبهذا تبين لنا عناية القرآن بتحصيل الأموال من هذه الطرق الثلاث ولقد سمى القرآن طلبها ابتغاء من فضل الله - سبحانه وتعالى - وقد بلغت عناية " القرآن بالأموال أن طلب السعي في تحصيلها بمجرد الفراغ من العبادة الأسرعية المفروضة " ١٦٤ .

- كما أشار القرآن كذلك إلى العمل وأهمية الإجابة فيه ، وتقدير العاملين ، باعتبار أن العسل قيمة في ذاته . وعلاج لمشكلات الفقر والبطالة والنمو السكاني . . . ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . ﴿ ( التوبة : ١٠٥ ) . وقوله سبحانه : ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه . ﴿ ( الملك : ١٥ ) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " لأن يأخذ أحدكم أحبله ، ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " ١٦٥ . وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " ١٦٦ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " من استأجر أجيراً فليعلمه أجره " ١٦٧ .

- تنمية الاتجاه التعاوني لدى النشء ، والنصوص في ذلك كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه " ١٦٨ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الأشعرين إذا أرملا في الغزو ، أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسدهم بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم " ١٦٩ .

كما أن هناك جملة من الأحكام التي تنظم جملة من العقود التي أقرتها مصادر " التربية الإسلامية " يمكن أن يوجه النشء إليها باعتبارها ميادين يبرز فيها الاتجاه التعاوني ومن هذه العقود : الشركة - المضاربة - السلم - الجعالة - الحوالة - الرهن ، وغيرها .

- تنمية الاتجاه الادخاري ، وتنظيم الاستهلاك ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا

١٦٤ سعيد إسماعيل علي أصول التربية الإسلامية ( القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٨ ) ص ١٦٦ .

١٦٥ صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٤ .

١٦٦ جلال الدين السوطي ، جمع الجوامع ( الأزهر ، مجمع البحوث الإسلامية ) م ٥٢٣٢ .

١٦٧ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ( بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر بدون تاريخ ) ص ١٢١ .

١٦٨ المرجع السابق ص ١٢٠ .

١٦٩ صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ من ١٨١ .

ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما ﴿ ( الفرقان : ٦٧ ) .

ويقول : ﴿ يقول أهلكت مالا ليدا ، أئحسب أن لم يره أحد ﴾ ( البلد : ٦ ، ٧ ) . ومن تنظيم عسر رضي الله عنه للاستهلاك أنه كان يرى ضرورة مراعاة الإنسان لذوى رحمه وجيرانه ، فلا يعطي لنفسه وأهله كل ما تشتهيه . وينسى ذوى رحمه وجيرانه في ذلك ؛ إذ قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه ساعة لقيه في السرقة وقد اشترى لحما : " ما هذا يا جابر ؟ قال : لحم اشتهد أهلني فاشتريته ، فقال : " أكلما اشتهيتم اشتريتم ، أكلما اشتهيتم اشتريتم ، أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه ؟ ، وأين تذهب عنكم هذه الآية " أدهتكم طبياتكم في حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها " ١٧٠ .

- تسمية الوعي نحو المحافظة على المصالح العامة ، واحترام الملكية الفردية ، ومن النصوص في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والمهانم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار " ١٧١ .

- تزويد النشء بالصواب الأخلاقية في المعاملات ، والتي فيها : " الأمانة في الكيل والميزان قال تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ ( الأنعام : ١٥٢ ) . تحريم الربا : ﴿ وذروا ما بقي من الربا ﴾ ( البقرة : ٢٧٨ ) . عدم الغش : " من غشنا فليس منا " ١٧٢ . عدم الكذب : " التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء " ١٧٣ . عدم كثر المال وضرورة إنفاقه في وجوهه المشروعة حتى لا يكون دولة بين الأغنياء ، قال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشروهم بعذاب أليم ﴾ ( التوبة ٥٣٤ ) .

- تسمية الوعي بأهمية العلم وقيمه في الحياة وضرورة تطبيقه فيها . وبيان أن الإسلام لا يرمى " للعلم حداً ينتهي عنده العالم ، وأن لحقائق الوجود مدى يمكن أن يحيط به العلماء " ١٧٤ بالإضافة إلى تسمية الاتجاه نحو محور الأمية ، ومحاربة أوضاع الجهل ، والخرافة التي حاربها الإسلام في " كل لون من ألوانها : حارب الشرك بالتوحيد وبث في النفس والآفاق دلالة . حارب جهالة التقليد . وأنكر على الإنسان أن يسلم عقله لغيره . وأن يقف في عقائده ومعارفه ، ووسائل الحياة عندما وقف عليه الآباء والأجداد من الأوهام والخرافات ، حارب جهالة الأمية ، وأوصى بتعلم القراءة والكتابة ، ورفع من شأن العلم " ١٧٥ .

وهذا يعني " أن التربية الإسلامية لم تكن تعيش بمعزل عن محور الأمية بمعناها الشامل في ذلك المجتمع الإسلامي ، بل كانت تعيش معها ، تنمو معها . وتنمو مع نمو المجتمع الإسلامي . وهذا الاهتمام الإسلامي بمحو الأمية نبع

١٧٠ البهى الخولى : الثروة في ظل الإسلام ، ط ٢ ، (القاهرة ، دار النصر للطباعة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ص ١٨١-١٨٣ .

١٧١ سنن البيهقي ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

١٧٢ مستدرک الحاكم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩ .

١٧٣ سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ص ٥١٥ .

١٧٤ السباعي ، اشتراكية الإسلام (دار مطابع الشعب ، ١٩٦٢ م ، ص ٥١٥١ .

١٧٥ محمود الشرقاوى ، الدين والدولة المصرية (القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٤ م ص ١٣١ ) .

من طبيعة الإسلام ذاتها ونظرتة إلى الفرد والمجتمع . . . ١٧٦ .

ومن ذلك ما نجده في القرآن الكريم من الدعوة إلى العلم بقوله سبحانه : ﴿ اقرا باسم ربك الذى خلق ﴾ (العلق : ١) ، وقوله سبحانه : ﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ ( المجادلة : ١١ ) ، من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " العلاء ورثة الأنبياء " ١٧٧ ، وقوله : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " ١٧٨ ، وقوله " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه . أو عالما ، أو متعلما " ١٧٩ .

كما جعل صلى الله عليه وسلم تعليم الأسير - في بدر - عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة فداء له من الأسر .

- تزويد النشء برأي الإسلام في النمو السكاني ، والذي يقضي بضرورة استثمار هذا النمو من إيجاد مجالات للعمل المنتج ، وحث على السعي المشروع في أرض الله سبحانه ، وهذا ما نجده في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ ( الملك : ١٥ ) وقوله سبحانه : ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغبا كثيرا وسعة ﴾ ( النساء : ١٠٠ ) .

وهكذا تبدو العلاقة وثيقة جدا بين التربية الدينية الإسلامية وبين النواحي : السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثانيا : " الميدان الخارجى " ١٨٠ :

إن سياسة مصر الخارجية تحكم بعدة مبادئ منها :

١- الإيمان بالقومية العربية والوحدة :

إن مصر لتؤمن بفكرة القومية العربية لما ترى فيها من الرابطة القوية التي توحد بين أبناء هذه الأمة بما لها من مقومات دينية وأرضية ولغوية وتاريخية واقتصادية . . . والوحدة تؤدي إلى التماسك بين أفراد الأمة العربية ودولها ، وهذا ما تهدف إليه مصر .

فالوحدة هي " ثمرة القومية العربية التي تشكل الآن الهدف النهائي للأمة العربية ثم هي فوق ذلك ضرورة تاريخية يفرضها منطق التطور العالمى المعاصر وانقسام العالم إلى كتل كبيرة " ١٨١ ، والوحدة مصادر القوة دعما إليها ديننا الحنيف بقوله سبحانه : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ( آل عمران : ١٠٣ ) . ولذا يقول العزالي رحمه الله : " وإذا كانت الدول الغربية والشرقية - على حد سواء - قد اختارت لنفسها شكلاً ما لوحدتها تحت ما

١٧٦ إبراهيم عصمت مطاوع ، عبد الغنى عبود ، في التربية المعاصرة ( دار الفكر العربى ١٩٧٧ ) ص ٢٦٠٢٥ .

١٧٧ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، ج ١ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ( عيسى الحلبي وشركاه ) بدون تاريخ ص ٨١ .

١٧٨ صحيح مسلم . مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٧٤ .

١٧٩ سنن ابن ماجه ، مرجع سابق .

١٨٠ انظر في ذلك : عبد المجيد سليمان حمروش : مرجع سابق ، ص ٨٥ .

١٨١ طعيمة الجرف ، أساسه في المجتمع الغربي ( القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٤ م ص ٣٦٦ .

يسمى " بحلف الأطلسي " وحلف وارسو " فإن العرب منذ أن احتضنوا رسالة الإسلام . وانتشرت جموعهم في بقاع شتى دخلت مصالحهم الجامعة في طور جديد ، طور يفرض عليهم وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تلم نملهم ، وتحسى حقيقتهم " ١٨٢ .

### ٢- توثيق العلاقات مع الدول الإسلامية :

" الوحدة الإسلامية هي في معناها الشامل شعور بالتضامن بين المسلمين ، تعود إلى عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فاللذين آمنوا بالله ورسالته : جمعهم رابطة الإيمان ضد الوثنيين الذين لم يؤمنوا معهم . والذين كانوا يحاولون مقاومة رسالة الدين الجديد " .

ومبدأ التضامن الأخوي في الإسلام اكتسب أهمية قصوى . وقد رسخت جذوره العميقة في قلوب المسلمين ، فلم تقو أحداث ثلاثة عشر قرناً على إضعافه ١٨٣ .

" ومن ثم فإن شمعنا يؤمن برباط روحي وثيق يشده إلى العالم الإسلامي " ١٨٤ .

وقد حرصت مصر على مد جسور التعاون بينها وبين جميع الدول الإسلامية حيث تزودهم بالثقافة الإسلامية عن طريق كتبها وعلمائها ، كما يفتح أهر مصر وجامعاتها الأبواب لتعليم أبناء هذه الدول ١٨٥ .

### ٣- الحياض الإيجابية وعدم الانحياز :

وهذا المبدأ من المبادئ التي تضمن العيش في سلام مع الآخرين فلا ضرر ولا ضرار . وفي معناه يقول " رئيس الجمهورية " : " عدم الانحياز هو الطريق الأفضل الذي يحقق مصلحة الشعوب في الحرية والأمان والعدالة ، وقد يتصل بهذا أننا في صياغة علاقاتنا بالدول الكبرى نحرص على التعاون مع كل منها حسبما يبدية من نوايا طيبة ، واستعداد حقيقي للتعاون - دون التدخل في شئوننا ، أو المساس بسيادتنا ، والافتيات على حرية إرادتنا - لأن مصر دولة عربية إفريقية ، لأشريقية ولا غربية ، قد جسور التعاون ، وتقاوم العدوان وتناصر الشعوب المناهضة للتواقة إلى الحرية " ١٨٦ .

وهذا المبدأ لا يتنافى والمبادئ الإسلامية ، مادام لا يعني الحياض في الصراع بين قوى الحق والباطل ، بل يعني الموقف الإيجابي في نصرة المظلومين ، والمستضعفين في الأرض ، حتى لو تطلب الأمر " الجهاد " في سبيل " الله " . والذي من أحد تطبيقاته " الجهاد من أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة ، الذين

١٨١ محمد الغزالي : حقيقة القومية العربية ، وأسطورة البعث العربي ، ط ٣ ( دارالكتب الحديثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ١٤٣ .

١٨٢ محمود كامل : الإسلام والعروبة ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ) ص ٣٩-٤٥ .

١٨٣ أحمد على إسماعيل ، سعيد محمود أحمد حري " التربية الوطنية " جمهورية مصر العربية والعالم المعاصر ، مراجعة محمد صبحي

عبد الحكيم ( جمهورية مصر العربية - وزارة التربية والتعليم ، ١٤٠٢/١٩٨٢ م ) ص ١٢٢-١٢٣ .

١٨٤ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، دراسات في الميثاق ( الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٣م - ١٣٨٣هـ ) . ص ٢٥٦ .

١٨٥ محمد حسنى مبارك " خطاب رئيس الجمهورية أمام مجلس الشعب والشورى " جريدة مايو العدد الأربعون ١٢ من محرم ١٤٠٢

هـ . ٩ من نوفمبر ١٩٨١ م ص ٥ .

ينالون من عنف الطغاة وبغيهم الشر الكثير " ١٨٧ .

#### ٤- التفاهم والتعاون الدولي من أجل الرخاء والسلام

إن التفاهم الذي يعبر عنه في الإسلام " بالشورى " والذي كثيرا ما ينتج عنه التعاون على البر والتتوى ، اللذين كثيرا ما يشدهما ويرجه إليهما ديننا الحنيف : من الطبيعي أن يكون من أعظم ثماره " الرخاء والسلام " في العالم كله ، ولذا يقول محمد البهي : " السلام العالمي معناه نبذ الخصومات بين الشعوب والجماعات ، وقيام العلاقات بينهما على أساس الاستقرار والطمأنينة ، السلام العالمي هو توجيه نشاط الشعوب والجماعات نحو حياة إنسانية أفضل وأهدأ ، وتوجيهها إلى البناء بدلا من الهدم لصالح الجماعة العامة وهي الإنسانية " ١٨٨

كما أن " التعاون الدولي من أجل الرخاء يقارب بين المستويات الهائلة من التمدد بين شعوب الأرض جميعا ، وهو امتداد طبيعي ضد الاستعمار والاستغلال " ١٨٩ .

ومصر بحكم موقعها الجغرافي في تفاعل مستمر مع غيرها من الدول ، ومن ثم " كان المجتمع المصري سابقا لغيره من المجتمعات العربية في اقتحام الدائرة العالمية ، وصارت العالمية محورا من محاور العمل المصري في المجتمع الدولي . وكانت رسالة مصر هي السلام للجميع ، والرخاء للجميع ، ومن ثم لم يكن غريبا أن يصبح المجتمع المصري من أقطاب هذه السياسة التي تتطلع إلى أمن البشرية في حاضرها ، وسعادتها في مستقبلها .

ومن منطلق دعوة مصر إلى السلام والرخاء فإنها تدعو إلى وقف تجارب الأسلحة النووية وانتشارها ، وعدم استخدام الفضاء الخارجي لغير الأغراض السلمية ، والحرص على أن تبقى أراضيها خالية من القواعد العسكرية ، وضرورة تعاون الدول الغنية مع الدول الفقيرة ، ومناشدة علماء العالم لتوجيه أبحاثهم ، واكتشافاتهم نحو خدمة الشعوب جميعها تحقيقا للرخاء والسلام .

ما الذي يمكن أن تساهم به مناهج التربية الدينية الإسلامية في تلبية مبادئ وأهداف المجتمع المصري في الميدان العالمي ؟ .

إن مما يمكن أن تساهم به مناهج التربية الدينية الإسلامية في تلبية مبادئ وأهداف المجتمع المصري في الميدان العالمي :

١- تنمية الاتجاه نحو الوحدة العربية وتمكين الروح القومية في النفوس على أساس من الدين ، وما جاء به من تعاليم . وما جاء فيه من قيم وأخلاق ١٩٠ ، ذلك أن الإسلام " لا يعترض على القومية كوحدة اجتماعية ينتمي إليها الفرد ، ويعتز بمكارمها ، ويسعى لخدمتها ، كما لا يتسخر لحب المرء أمتة ، وحينئذ لوطنه . . " فالرسول - صلى الله عليه وسلم - قال يوم فتح مكة حين عاد إليها منتصرا : " والله إنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله . ولولا

١٨٧ عبد الحلیم محمود: "الجهاد" كتاب المؤتمر الرابع (القاهرة: الأهرام، مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٨م) ص ٣٦

١٨٨ محمد البهي: الإسلام في حياة المسلم، ط ٥ (مكتبة وهبه، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) ص ٤٨٢ .

١٨٩ أحمد سويلم العمري: المجتمع الغربي وتطورات الاجتماعية السياسية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤) ص ٤٣ .

١٩٠ محمد حسر التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية - طرابلس: الشريعة العربية العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٦٧م ص ٣٠١ .

أن قومي أخرجوني منك ما خرجت " ، وقال المفسرون عن قوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ ( الزخرف : ٤٤ ) : إن "العرب" هم قوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وإنه شرف هم ، وإنه رسالتهم إلى الناس جميعا وسوف يُسألون عن تبليغها لهم ، فالعرب دون شلت هم وعاء الإسلام الأصيل الصقيل اختار الله منهم خاتم رسلة . واصطفى لسانهم لآخر كتبه ، وارتضاهم حملة لدينه القويم " ١٩١ ، وما أزهو مصر - بعلمائه الذين حملوا تعاليم هذا الدين إلى الدنيا كلها إلا اعتماد للسلف الصالح في تبليغ هذه الرسالة .

ولكن الإسلام يرفض مبدأ القومية التي تجعل ولاء الفرد لعنصر ، أو جنس . أو لون أو الانتصار لسياسة مهما كانت قبل الولاء للدين ، وفي ذلك يقول المولى سبحانه : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ، وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتمارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصرا حتى يأتي الله بآية ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ ( التوبة : ٢٤ ) .

٢- تنمية الاتجاه نحو الأمة الإسلامية ، التي لا يوجد بين أفرادها " شعور الجنس ولا القبيلة . كما لا تفصل بينهم حدود المكان ، وأحداث الحياة ، ويجمع بينهم الإيمان ، وبالإيمان وحده تلهي الحواجز . . . ربكم واحد ، ومنهجكم منهج واحد ، وغايتكم في الحياة واحدة . وسيلكم إليها واحد أيضا ، أنتم جماعة من الناس تُنادى " بيا أيها الذين آمنوا " و" يا أيها المؤمنون إخرة " ١٩٢ .

٣- تنمية الاتجاه لدى النشء " نحو الجهاد باعتباره وسيلة للتمكين في الأرض . وإعلاء كلمة الله " ومناصرة المستضعفين في الأرض ، وترويضهم بالمبادئ الإسلامية المتعلقة بالهزة والكرامة ﴿ والله العزة والرسوله وللمؤمنين ﴾ ( المنافقون : ٨ ) والتي تستوجب تفرد الأمة الإسلامية . وتميزها في علاقتها مع الأمم الأخرى : الأمر الذي يعني أن التحالف مع معسكر ينادى بالحق والفضيلة ، ويؤمن بالسيطرة والاستعباد إنما هو موالة جاء النهي عنها " ١٩٣ ، فأقصد قال الله تعالى : ﴿ إنما يهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ ( المتحنة : ٩ ) .

٤- ترويض النشء بالمبادئ الإسلامية المقررة لصيانة السلام العالمي . كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان . إنه لكم عدو مبين ﴾ ( البقرة : ٢٠٨ ) " فإذا حصل للمؤمنين إيذاء بسبب صيائته دفعوا الإيذاء بمثل الصورة التي وقع بها ، قال تعالى ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ ( البقرة : ١٩٤ ) فإذا عرض عليهم السلام من يناصبونهم العداء قبلوا هذا الجرح قال تعالى : ﴿ وإن

١٩١ أحمد محمد جمال ، محاضرات الثقافة الإسلامية ، ط ٣ ( القاهرة : مؤسسة دار الشعب - ١٩٧٥م ص ٢٤٦ . انظر أيضا : سيد قطب : في ظلال القرآن ص ٥٥ الآية رقم ٤٤ ص ٣١٩١ ، الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م والجلالين : محمد بن أحمد المحلى وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م دار المعرفة . ص ٦٥١ والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن . المجلد الثامن ، ج ١٦ ص ٦٢ دار الكتب العلمية بيروت - ١٩٩٢ م وابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج ٤ ، ١٩٨٣م ص ١٢٩ دار المعرفة ، بيروت . وغيرهم .

١٩٢ محمد البهي ، الإسلام أي حياة المسلم ، مرجع سابق . ص ٤٩٠ .

١٩٣ عبد المجيد سليمان مبروش : مرجع سابق ، ص ٩٠ .

جنبوا للسلام فاجتنب لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴿ ( الأنفال : ٦١ ) . ومع شدة حرص الإسلام على السلام العالمي إلى هذا الحد الذي نراه فإنه لا يريد للمسلمين أن يُستدلوا في سبيله ، بل يجب عليهم أن يحافظوا على السلام وعلى كرامتهم معا ، يقول جل شأنه : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾ ( محمد : ٣٥ ) <sup>١٩٤</sup> .

خاتمة : وبهذا يكون الباحث قد أوضح طبيعة المجتمع المصري الحالي : ماغيه ، وحاصره ومشكلاته . وتطلعاته نحو المستقبل داخليا وخارجيا ، فهو مجتمع مسلم ، الإسلام هو عقيدته وفلسفته للكون والإنسان والحياة ، إذ الإسلام هو أساس صفات الأفراد وهو الذي يحكم طبيعة العلاقات والارتباطات بين أفرادهم وجماعاته ، كما أنه يحكم النظم والمؤسسات السائدة فيه ، وهذه هي الصفات الغالبة فيه .

وإنما أفرد الباحث حديثا خاصا بالمجتمع المصري بعد حديثه العام عن المجتمع لأن موضوع البحث الأساسي متعلق بمرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية ، ومع ذلك اكتفى الباحث بالمعايير المستتجة من الحديث عن المجتمع المسلم بصفة عامة ، لأن المجتمع المصري ماهر إلا جزء من المجتمع المسلم .

#### ثانياً: الحياة الآخرة :

مقدمة : سبق أن قلنا - عند الحديث عن الحياة بصفة عامة - أن الحياة دنيا وآخرة وهما مرتبطتان وقلنا ، أن الحياة الدنيا هي مجموعة أنشطة الكائنات التي خلقها الله خلال أعمارها الزمنية ، وعمارة الأرض ، وترقية الحياة على ظهرها . . . الخ ، وإذا كان هذا الفصل قد اهتم بالحياة الدنيا فإنما ذلك لأنها مرتبطة بالحياة الآخرة . فالدنيا مزرعة الآخرة ، وما يقدمه الإنسان في الحياة الدنيا يلقي ثماره في الحياة الآخرة ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾ ( الزمل : ٢٠ ) ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ ( الزلزلة : ٦ - ٨ ) وآخرة كل إنسان تبدأ بموته ، فالموت نهاية الحياة الأولى وبدء الحياة الآخرة بالنسبة لكل فرد إذ تنتهي أعماله الدنوية ويبدأ بجني ثمارها ، وقبره إما روحنة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، . . . وعلى ذلك فسيكون حديث الباحث عن الحياة الآخرة مبتدأ بالحديث عن الموت ثم البعث ثم الحشر ثم الصراط ثم الحساب ثم النار وأهلها ثم الجنة وأهلها . فما الموت ؟

#### الموت :

إذا كانت الحياة تتحقق باتصال الروح بالجسد ، فإن الموت يتحقق بانفصال الروح عن الجسد . فالموت أول منازل الآخرة قال تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الخلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ ( الواقعة : ٨٣ - ٨٤ ) وقال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها فيسلك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ ( الزمر : ٤٢ ) يقول السيد سابق " والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت <sup>١٩٥</sup> .

#### القبر :

<sup>١٩٤</sup> محمد البهي ، الإسلام في حياة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٤٨٥ .

<sup>١٩٥</sup> السيد سابق : العقائد الإسلامية : بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ ، ص ٢٣٦ .

والقبر هو الدار الثالثة التي يحل فيها الإنسان ، إذ الأولى بطن الأم ، والثانية الدار التي ينشأ فيها ويألفها في الحياة الدنيا والثالثة القبر ، قال تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ ( طه : ٥٥ ) وقال سبحانه : ﴿ ثم أماتته فأقبره ﴾ ( عيس : ٢١ ) وقال تعالى : ﴿ ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ ( المؤمنون : ١٠٠ ) والرابعة الجنة أو النار .

#### سؤال القبر :

قال سيد سابق : " اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يُسأل بعد موته قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع ، أو أحرق حتى صار رمادا ، ونسف في الهواء ، أو غرق في البحر لستل عن أعماله وجوزي بالخير خيرا ، وبالشر شرا ، وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معا<sup>١٩٦</sup> .  
وقال ابن القيم : " إن مذهب السلف وانتمت لهم أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يكون لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معدبة . وأنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم إلى رب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى<sup>١٩٧</sup> .

#### التوجيه القرآني والنبوي في ذلك :

قال تعالى : ﴿ يشئ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ ( إبراهيم ) ، جاء في تفسير الجلالين : " بالقول الثابت " هي كلمة التوحيد ، " في الحياة الدنيا وفي الآخرة " أي في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبئهم فيجيئون بالصواب كما في حديث الشيخين ، " ويضل الله الظالمين " الكفار فلا يهتدون للصواب بالصواب بل يقولون لاندري كما في الحديث<sup>١٩٨</sup> ، وقوله سبحانه في قوم نوح : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴾ قال في تفسير الجلالين : " أغرقوا " بالطوفان ، " فأدخلوا نارا " عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء " <sup>١٩٩</sup> . وقال ابن القيم : " نحن نثبت ما ذكرناه . . فاما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : " إنهما يعدبان وما يعدبان في كبير ؛ أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميسة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " <sup>٢٠٠</sup> .

<sup>١٩٦</sup> المرجع السابق : ص ٢٩٧ .

<sup>١٩٧</sup> الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية : كتاب الروح ، بيروت ، دار العلوم الحديثة ، ص ٥٢ .

<sup>١٩٨</sup> جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير

الإمامين الجليلين ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ٣ ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م ، ص ٢٣٤ .

<sup>١٩٩</sup> المرجع السابق .

<sup>٢٠٠</sup> ابن القيم ، مرجع سابق ص ٥٢ .

٢٤ - ولهذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الموت أول درجات الآخرة فيستعدوا له بصالح العمل ، وضرورة أن يقدم لهم المحترى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى النجاة من عذاب القبر وفتنته .

### البعث :

والبعث إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب ، ثم إما إلى حسنة وإما إلى نار : ﴿ فريقي في الجنة وفريق في السعير ﴾ ( الشورى ٧ ) " ويبدأ اليوم الآخر بالبعث وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً . كما كان في الدنيا . . ولا يعرف الإنسان هذه النشأة الأخرى لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى " ٢٠١ . قال تعالى : ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ ( الواقعة : ٦٠ - ٦٢ ) .  
التوجيه القرآني في ذلك :

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث : مستدلاً بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة ، ومبيناً أن الله قادر على كل شيء ، وعالم بكل شيء فلا تعجزه إعادة الأجسام لنفوذ قدرته . ولا يضيع منها شيء لسعة علمه . . . ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وحرب لنا مثلاً ونسي خلقه : قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ ( يس : ٧٨ - ٧٩ ) . وقوله : ﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ ( الحج : ٧ ) . ﴿ قل بلى وربي لتبعثن ثم لتبئرن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ ( التغابن : ٧ ) .

### شبهة منكري البعث والرد عليها :

لقد استبعدت طوائف من الناس هذه الحقيقة "حقيقة البعث" زاعمين أنها مخالفة لما عاهدوه من السنن المألوفة ومستبعدين ذلك ، وهستعظمين أمره ؛ لأن عقولهم لا تكاد تصدق إعادة الحياة إلى الأجسام بعد تفرقها ، وتحللها ، وبعد أن يتداخل بعضها في بعض ، فإن الإنسان بعد أن يموت يتحول جسمه إلى تراب . ثم يتحول التراب إلى نبات فيتغذى إنسان آخر بذلك النبات ، ثم يموت . . . وهذا الإنسان يتحول كغيره . وهكذا تتداخل الأجسام بعضها في بعض ، فكيف يبعث الله الناس بعد هذا التداخل ؟

يقول السيد سابق في الرد على هذه الشبهة : " يجيب علماء العقائد عن هذه الشبهة بأن الإنسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية والأجزاء الأصلية تبقى كما هي ، والعرضية هي التي تتحول " ٢٠٢ . وهذه الشبهة قديمة ، ولا تزال تزداد في صدر الكثير ، والقرآن ذكر هذه الشبهة وعالجها ، فقال : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما فهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حججهم إلا أن قالوا انتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ، قل الله يحييكم : ثم يميتكم . ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ( الجاثية : ٣٤ - ٣٦ ) .

<sup>٢٠١</sup> السيد سابق ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

<sup>٢٠٢</sup> المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

فهؤلاء الذين أنكروا البعث ، رد الله عليهم بأن استبعادهم لا معنى له !! لأنهم يجاهلون عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته ، وأنهم لا يبصرون في أنفسهم ، فهم أنفسهم أدل الدلائل ، وأقوى الحجج على نفي ما ينكرونه من البعث ، فالله أحياءهم أولاً ، وأماتهم ثانياً ، ولا تزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة ، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة ، فأي استبعاد في هذا ؟!

والإعادة في عرف الناس أهون من البدء ، وقد بدأ الله الخلق لأول مرة ولم يصعب عليه ذلك فأعادته أهون عليه ، هذا بالقياس العقلي والبشري ، وإن كان الله - سبحانه وتعالى - ليس كمثلنا شيء فلا يقاس عمله بعقولنا ، فلا سهولة ولا صعوبة بالنسبة له وإنما أمره - سبحانه - إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون هو الذي يبدأ الخلق ، ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿ ( الروم : ٢٧ ) .  
اختلاف الناس عند البعث :

"والناس يختلفون عند البعث اختلافاً كبيراً حسب أعمالهم فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، وزكت نفوسهم يكونون أكمل أجساداً وأرواحاً ، والذين خبثت أعمالهم ، وفسدت عقائدهم يكونون أخص أجساداً وأرواحاً .  
فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الرسول صلى الله عليه وسلم - قال : "يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم ، قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك" رواه الترمذي ، وفي الحديث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " يحشر المتجبرون والمتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ تطوهم الناس هوأنهم على الله عز وجل " ، وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يبعث كل عبد على ما مات عليه" أي : إن من مات على خير يبعث على حال سارة ، ومن مات على شر يبعث على حال شنيعة . . . ومع كون البعث بالأجساد والأرواح إلا أن القوى الروحية تكون هي القادرة على التصرف في الأجساد فتستطيع قطع المسافات البعيدة في أقصر مدة والتخاطب بالكلام بين أهل الجنة والنار ، يكون مثلهم في ذلك مثل الملائكة والجن في قدرتها على التشكيل وظهورها في الأجساد تأخذها من مادة الكون وقد ثبت ذلك ثبوتاً علمياً<sup>٢٠٣</sup> . . .

وما تقدم يجب أن يعرف التلاميذ من خلال المحتوى الذي يقدم لهم على البعث ، وتستنتج فهم الأدلة العقلية من خلال الفهم والوعي لهذه الأدلة بحيث تكون لديهم المقدرة على إقناع الآخرين بإمكان وقوع البعث ثم بضرورة الاعتقاد بوجوب وقوعه ليلقى كل إنسان جزاء عمله ، إما في دار كرامة وإما في دار إهانة وذلك ليستعدوا بصالح العمل فيسعدوا في أحرامهم وبيعثوا مكرمين وينتهي أمرهم بدار الخلد والنعيم .

٢٥ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ وجوب الإيمان بالبعث والأدلة المرجحة لهذا الإيمان ، وضرورة أنه تقدم النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

الحشر:

وهو إخراج الله الناس من قبورهم بعد إحيائهم وسوقهم إلى أرض الحشر لحسابهم وانتهاء الأمر بهم إلى الجنة للطائعين وإلى النار للعصاة المذنبين ، ولذا سمي الله يوم الدين يوم الجمع ، لأن الله يجمع العباد جميعاً ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يسوم مشهود ﴾ (هود: ١٠٣) ، ويستوي في هذا الجمع الأولون والآخرون ﴿ قل إن الأولين والآخريين لمجموعة إلى ميقات يوم معلوم ﴾ (الواقعة: ٥٠) ، وقدرة الله تحيط بالعباد ، فالله لا يعجزه شيء ، وحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم وإن هلكوا في أجواء الفضاء أو غاروا في أعماق الأرض . وإن أكلتهم الطيور الجارحة أو الحيوانات المفترسة أو أسماك البحار ، أو غيبتهم في قبورهم في الأرض كل ذلك عند الله سواء ، ﴿ أينما تكفروا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير ﴾ (البقرة: ١٤٨) .

" وكما أن قدرة الله محيطه بعباده يأتي بهم حيثما كانوا فكذلك علمه محيط بهم فلا ينسى منهم أحداً ، ولا يضل منهم أحد ، ولا ينسى منهم أحد ، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى وعدهم عبداً ﴿ إن كل من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عبداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ (مريم: ٩٣-٩٥) ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ (الكهف: ٤٧) .

وهذه النصوص بعمومها تدل على حشر الخلق جميعاً : الإنس والجن والملائكة . ولا حرج على من فقه منها أن الحشر يتناول اليهائم أيضاً " ٢٠٤ .

وقد اختلف أهل العلم في حشر اليهائم فذهب ابن تيمية رحمه الله إلى أن ذلك كائن إذ يقول : " أما اليهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه وتعالى كما في الكتاب والسنة " ، قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم ، ننا فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (الأنعام: ٣٨) ، وقال تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ (التكوير: ٥) . . . وقال تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ (الشورى: ٢٩) و" إذا " إنما يكون لما يأتي لا محالة " ٢٠٥ .

صفة حشر العباد:

يحشر العباد حفاة عراة غرلاً - أي غير مختبرين - ففي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً " ٢٠٦ ، ثم قرأ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نهيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) ، وعندما سمعت عائشة الرسول صلى الله عليه يقول : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً " قالت : يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض " . . . متفق عليه ٢٠٧ .

<sup>٢٠٤</sup> عمر سليمان الأشقر : القيامة الكبرى ، ط ١ ، الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ م ، ص ٥٧ .

<sup>٢٠٥</sup> ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ج ٤ ، ص ٢٤٨ .

<sup>٢٠٦</sup> الخطيب التبريزي : مشكاة المصابيح الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١ م ، ج ٣ ، ص ٧٥ ، رقم الحديث ٥٥٣٥ .

<sup>٢٠٧</sup> المرجع السابق : رقم الحديث ٥٥٣٦ ، ص ٥٧ .

كسوة العباد يوم المعاد :

يقول عمر سليمان الأشقر : إن الله يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا . كما صحت بذلك الأحاديث ، ثم يُكسى العباد ؛ فإصالحون يُكسبون الثياب الكريمة ، والطالحون يسربلون بسرابيل القطران ، ودروع الحرب . ونحوها من الملابس النكرة الفظيعة <sup>٢٠٨</sup> ، قال تعالى : ﴿ وترى الجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد . سراويلهم من قطران تغشى وجوههم النار ﴾ ( إبراهيم : ٤٩ - ٥٠ ) .

أرض المحشر :

الأرض التي يحشر العباد عليها يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض قال الله تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ ( إبراهيم : ٤٨ ) ، وقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر ؛ ففي صحيح البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي <sup>٢٠٩</sup> ، الدقيق النقي من العش والنخال <sup>٢١٠</sup> .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن معاوية بن حيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تحشرون ها هنا ، وأوماً بيده نحو الشام " وأخرج البزار والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " من شك أن الحشر بالشام ، فليقرأ هذه الآية : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ ( الحشر : ٢ ) وقال هم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : " اخرجوا " ، قالوا : " إلى أين ؟ " قال : " إلى أرض المحشر " . . . وأخرج البزار والطبراني بسند حسن عن جنادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنا : " إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجمعون إلى يوم القيامة <sup>٢١١</sup> .

ولا تناقض بين أنه الأرض قد والأرض تطوى والأرض تبدل وبين كون الشام منها موضعاً للحشر لأنها تعزبها كل هذه الأشياء ، ويوضح الحافظ ابن حجر الجمع بين كل ما يعزبها من مثل هذه الأمور فيقول : " لا تناقض بين تبديل الأرض وأحاديث مدها والزيادة فيها والنقص منها لأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا لكن أرض الموت غيرها ، فإنهم يرحلون من أرض الدنيا بعد تغييرها إلى أرض الموقف ، قال : ولاتناهي أيضا بين أحاديث يصيرها خبزة وخبزة ونارا ، بأن تجمع بأن بعضها يصير خبزة ، وبعضها خبزة ، وبعضها نارا ، وهو أرض البحر خاصة <sup>٢١٢</sup> .

الترجيح : وتجي كل نفس إلى الحشر بمثل ما يسوقها ومثل ما يشهد عليها قال تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها

<sup>٢٠٨</sup> عمر سليمان الأشقر ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

<sup>٢٠٩</sup> أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : شرح صحيح البخاري باب يقبض الله الأرض . بفتح الباري : ( ٣٧٢/١١ ) ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب البعث والنشور ( ٢١٥/٤ ) ورقم الحديث ٢٧٩٠ والسياق للبخاري .

<sup>٢١٠</sup> عمر سليمان الأشقر ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

<sup>٢١١</sup> انظر : أبا الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : البذور السافرة في أمور الآخرة ، بيروت . مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١١٤١١ هـ - ١٩٩٢ م ص ٤٢ - ٤٣ .

<sup>٢١٢</sup> أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

سائق وشهيد ﴿ (ق : ٢١) . . . وجاء في تفسير ابن كثير في هذه الآية : " أي : ملك يسوقه إلى الحشر وملك يشهد عليه بأعماله "١١٣ . وفي ختام هذا اليوم يحشر العباد إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وهو المقر الأخير الذي يصير إليه العباد جميعا ، وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يطلب من كل أمة في آخر ذلك اليوم أن تتبع الإله الذي كانت تعبد ، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس ، والذي كان يعبد القمر يتبع القمر ، والذي كان يعبد الأصنام تصور لهم ألهتهم ثم تسير أمامهم ويتبعونها ، والذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه ثم إن هذه الألهة الباطلة تتساقط في النار وتتساقط عبّادها وراءها في السعير ، كما قال تعالى في فرعون : ﴿ يقدّم قومه قوم القيامة فأوردهم النار وبنس الرود المرود ﴾ (هود : ٩٨) .

ولا يبقى بعد ذلك إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب ، وفي المؤمنین المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا ، فيأتيهم ربهم عز وجل فيقول لهم ما تنتظرون ؟ فيقولون ننتظر ربنا ، فيعرفونه بساقه عندما يكشفها لهم ، وعند ذلك يحزنون له سجودا ، إلا المنافقين فلا يستطيعون ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ (القلم : ٤٢) ، ثم يتبع المؤمنون ربهم ، وينصب الصراط ، ويعطى المؤمنون أنوارهم ، ويسيروا على الصراط ويطفأ نور المنافقين ، ويقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا . ثم يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ويمر العباد على الصراط مسرعين بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة .

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، وغير أهل الكتاب - بقاياهم - فيدعى اليهود ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيراً ابن الله ، فيقال : كذبتهم . ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يعظم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار ، ثم يدعى النصارى . فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح بن الله ، فيقال لهم : كذبتهم . ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد . فيقال لهم : ما تبغون ؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا ، قال : فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب . يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين - سبحانه - في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، قال : فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا (مرتين أو ثلاثا) ، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفون بها ؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساقه . فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم . وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة . ويقولون : اللهم سلم سلم ،

١١٣ إسماعيل بن كثير القرشي : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، بيروت . دارالمعرفة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م . ص ٢٢٥ .

قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: محض مزلّة فيه خطاطيف وكراليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون طرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم...<sup>٢١٤</sup>.

٢٦ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على وجوب الإيمان بالخشى. وأن يتضمن اخترا من النصوص القرآنية ما يؤكد ذلك ويدعو إلى النجاة من أهواله.

### الحساب:

والحساب هو دليل العدل الإلهي الذي به يأخذ كل ذي حق حقه وإن كانت رحمة الله هي الغالبة والمدخرة لهذا اليوم الرهيب، ولو لم ينقذ الله خلقه برحمته لأهلكهم ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ (فاطر: ٤٥).

يقول السيد سابق: الحساب هو مقتضى العدل الإلهي<sup>٢١٥</sup>. . . إن الله سبحانه متصف بصفات الكمال، ومن صفات الكمال العدل، والعدل يقتضي عدم التسوية بين البر والفاجر، والله قد فطر الناس على معرفته، ثم أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب فلا حجة لهم نحو أمر أمروا به ولا جراحة على نهى نهوا عنه، قال تعالى: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون، وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (الجنّة: ٢١، ٢٢).

إن التسوية بين مصير الصالحين وغيرهم تفكير السطحين الذين يحسبون الحياة لهذا ولها، والله عز وجل يقول: ﴿ وما خلقت السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. أم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ (ص: ٢٧ - ٢٨).

إن الناس لا يعلمون هذه الحقيقة، ولما يتذكرونها، والله يقول سبحانه وتعالى: ﴿ خلقت السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون، إن الساعة آتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ (شافر: ٥٧ - ٥٩)، إنه لا بد من يوم تتكشف فيه الحقائق، وتظهر فيه مكونات الضمائر، ﴿ والله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ (النجم: ٣١).

### كيفية الحساب:

بعد أن يرد الله الحياة إلى الناس من جديد يحشرهم إليه، ويجمعهم لديه، ليجازى كل فرد منهم على ما عمل من خير أو من شر، فتشهد الأرض بما حدث عليها. ومن التوجيه القرآني في ذلك: ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان ما لها، يومئذ تحدث أخبارها. بأن ربك

<sup>٢١٤</sup> الإمام مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية - ج ١، ص ١٦٧. ورقم الحديث ١٨٣.

<sup>٢١٥</sup> المرجع السابق، ص ٧٥٥.

أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يغسل مثقال ذرة خيرا يرد . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره  
﴿ ( سورة الزلزلة ) . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يومئذ تحدث  
أخبارها " فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة  
بما عمل على ظهرها : أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، قال فهذه أخبارها " رواه أحمد والبخاري  
والترمذي وصححه <sup>٢١٦</sup> .

وكما تتحدث الأرض عن أخبارها تشهد الألسنة ، والأيدي ، والأرجل ، والجلود . . . وبهذا تتم حجة الله على  
العالم : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يرفههم الله دينهم الحق . ويعلمون  
أن الله هو الحق المبين ﴾ ( النور : ٢٤ - ٢٥ ) ، ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ، حتى إذا ما  
جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدنا علينا قالوا أنطقنا الله  
الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا  
أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم  
فأصبحتم من الخاسرين ﴾ ( فصلت : ١٩ - ٢٣ ) ، ﴿ يوم يعثهم الله جميعا فينبههم بما عملوا أحصاه الله ونسوه  
والله على كل شيء شهيد ، أم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض : ما يكون من نجرى ثلاثة إلا هو  
رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا . ثم ينبههم بما عملوا يوم  
القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾ ( المجادلة : ٦ - ٧ ) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : يا أيها الناس  
إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا " ﴿ كما بدأنا أول الخلق نعيده وعمدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾  
( الأنبياء : ١٠٤ ) ، ألا إن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم  
ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : كنا قال العبد الصالح :  
﴿ وكنتُ عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، إن  
تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ( المسائدة : ١١٨ ) ، قال فيقال لي : " إنهم لم يزالوا  
مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : " سحقا سحقا " رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي <sup>٢١٧</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تزول قدما عبد حتى  
يسأل : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه  
" رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح <sup>٢١٨</sup> .

كيفية إحصاء الأعمال وعرضها: وإحصاء الاعمال وتسجيلها يكون بواسطة الملائكة الموكلين بذلك .

<sup>٢١٦</sup> المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

<sup>٢١٧</sup> المرجع السابق : ص ٢٨٣ .

<sup>٢١٨</sup> المرجع السابق ، ص ٢٨٣ . وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ( ٧٣٠٠ ) .

التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون ﴾ ( الانفطار : ١٠ - ١٢ ) ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ ( ق : ١٨ ) ، فإذا كان يوم الحساب جنى بالكتب التي دوت فيها الأعمال لتعرض على أصحابها ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ ( الاسراء : ١٣ - ١٤ ) ، ﴿ ووضع الكتاب فترى الجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عدلوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ ( الكهف : ٤٩ ) .

وهذه الكتب التي توزع على أصحابها : منهم من يأخذ كتابه يمينه وتكون بشرى من البشريات السارة ، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره ويكون ذلك علامة على سوء الحساب ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا ، إنه كان في أهله مسرورا ، إنه ظن أن لن يحور ، بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ ( الانشقاق : ٦ - ١٥ ) .

#### العلم وتسجيل الأعمال :

وتسجيل الأعمال من الأمور التي قد ثبتت ثبوتاً علمياً ، فما من صورت من الأصوات ، ولا عمل من الأعمال ، ولا حركة من الحركات إلا وهي مسجلة في سجل الكون ، ومدونة في كتاب الوجود ، فليس منها شيء ضائع ، ولا يمكن لشيء منها أن يزول ، والله يقول في ذلك : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ ( الأنعام : ٥٩ ) .

#### دقة الحساب :

وتبلغ الدقة في الحساب منتهى ما يمكن أن يتصور ، حتى يأخذ كل واحد جزء ما عمل من خير أو شر ، سواء أكان ذلك عملاً مارسه بالفعل ، أو عملاً نواه وأصر عليه ، فتقام لذلك موازين القسط ، حتى يتحقق العدل الإلهي على أكمل صورته ، قال سبحانه : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكنتى بنا حاسبين ﴾ ( الأنبياء : ٤٧ ) .

ثم تكون عاقبة كل حسب رجحان الميزان بالعمل الصالح ، أو نقصاته ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ ( المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٣ ) .

الله هو الذي يتزكى الحساب : والله سبحانه هو الذي يحاسب الناس جميعاً بنفسه بدون واسطة ، ومن توجيهه في ذلك : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ ( آل عمران : ١٩٩ ) ، ﴿ وكنتى بنا حاسبين ﴾ ( الأنبياء : ٤٧ ) ، وعن عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة " رواه البخاري ومسلم والترمذي ، وقد حدث الإمام علي كرم

الله وجهه بهذا الحديث فقال له أحد الرجال : يا أمير المؤمنين كيف يحاسب الله الناس في وقت واحد ١٩ فقال : " كما يرزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد " ٢١٩ .

### رحمة الله بالمؤمنين يوم الحساب :

والمؤمن لا يناقش الحساب رحمة به وشفقة عليه ، لأن من نوقش الحساب عذب . قيل لابن عمر : كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى ؟ - والمراد بها هنا مناجاة الله لعبده المؤمن في الآخرة - ، قال : سمعته يقول : " يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه - أي : ستره - فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، ويقول : أغسلت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم فيقرره - أي : بدنوبه - ، ثم قال : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يعطى صحيفة حياته وأما الكفار فينادى على رءوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين " رواه البخاري ومسلم ٢٢٠ ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فإما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ . فقال : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب " ٢٢١ .

٢٧ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن عدل الله اقتضى محاسبة الناس على أعمالهم يوم القيامة ليجزى كلُّ بما عمل ، وأن يقدم لهم المحتوى ما يشتمل صدق ذلك : حتى لا يعملوا إلا ما يرضى به الله عنهم .

### الصراط :

وهو طريق يوضع على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف ، فأهل الجنة يمرون عليه ، وهم متجهون إليها ، وأهل النار يسقطون فيها .

التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم نتجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ ( مريم : ٧١-٧٢ ) . وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها - فيما يروي عنها الترمذي ومسلم - بعد أن تلت هذه الآية ، ﴿ يوم تبادل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ . . . يا رسول الله أين يكون الناس ؟ قال صلى الله عليه وسلم : على الصراط .

وفي حديث الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمّي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم ، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تعطف الناس بأعمالهم " ٢٢٢ . . . وروى مسلم عن أبي هريرة في وصف المرور على الصراط ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وتوسل الأمانة والرحم فتقومان

٢١٩ المرجع السابق ص ٢٨٦ .

٢٢٠ المرجع السابق : ص ٢٨٧ .

٢٢١ المرجع السابق : ص ٢٨٧ .

٢٢٢ المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

على جنبتي الصراط بينا وشمالا ، فيمر أولكم كالبرق . قال : قلت : بأبي أنت وأمي ، أي شيء كالبرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كسر الريح ، ثم كسر الطير ، وشد الرحال . تجري بهم أعصابهم ، ونيبكم قائم على الصراط ، يقول : رب ، سلم سلم ، حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجي الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا ، قال : وعلى حافتي الصراط كالليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكدوس في النار<sup>٢٢٣</sup> .

٢٨ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ وجوب الإيمان بوجود الصراط يوم القيامة ، وأن يتضمن المختصر من النصوص القرآنية ما يوضح لهم ذلك ويحثهم على العمل بما يجعلهم يعبرونه بسلام إلى الجنة .

### النار وأهلها :

من عدل الله - سبحانه وتعالى - أنه أعد لأهل طاعته جنة عرضها السموات والأرض . وأعد للعصاة نارا تظلي وقودها الناس والحجارة . . . فالجبار والكفار يصلون الجحيم ؛ والجحيم هذه هي دار العذاب وتسمى بأسماء متعددة ، فتسمى بالهابة ﴿ وأما من خفت موازينه فأمه هابة ﴾ ( القارعة : ٨ ) ، وتسمى السعير ﴿ وأعدنا لهم عذاب السعير ﴾ ( الملك : ٥ ) ، وتسمى لظى ﴿ كلاً إنها لظى ﴾ ( المعارج : ٥ ) ، وتسمى سقر ﴿ سألوه سقر ﴾ ( المائدة : ٢٦ ) ، وتسمى الحطمة ﴿ لينبذن في الحطمة ﴾ ( الهزلة : ٤ ) .

أهوال الجحيم : وقد وصف الله الجحيم وصفاً تشب من النواصي ، وتخلج منه القلوب ، كي يرتدع الغاوون عن غيهم فذكر أن وقودها الناس والحجارة ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ ( التحريم : ٦ ) ، وأنها لا تشبع مما يلقي فيها ﴿ يرمون نقول لهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ ( ق : ٣٠ ) ، وطعام أهلها الزقوم ﴿ أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ، إنا جعلناها فتنة للظالمين ، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فإنهم لا يكلون منها فملأون منها البطون ، ثم إن هم عليها لشوبا من حميم ﴾ ( الصافات : ٦٥ - ٦٧ ) وثياب أهلها من نار ﴿ هناك خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾ ( الحج : ١٩ - ٢٢ ) .

وجهنم تحيط بالمعدين من كل جانب فهي فراش وغطاء : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ، لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غراش وكذلك نجزي الظالمين ﴾ ( الاعراف : ٤١ ) ، ﴿ هم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ﴾ ( الزمر : ١٦ ) ، وأهل جهنم لا يموتون فيستريحون ولا يحيون الحياة الخيئة ؛ قال تعالى : ﴿ ويتجنبها الأشقي ، الذي يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ ( الأعلى : ١١ - ١٣ ) .

وأهل النار محجوبون عن الله ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ محجوبون ﴾ ( المطففين : ١٥ ) ، وهذا هو أشد أنواع العذاب ، يقول الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا

غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما ﴿ (النساء : ٥٦) ، يقول السيد سابق : " ففي هذه الآية أن النار كلما أكلت جلودهم بدتهم الله جلودا غيرها ، والسبب في ذلك أن أعصاب الألم هي الطبقة الجلدية ، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية ، فالإحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألما شديدا ، بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة ، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألما كثيرا " ، فالله تعالى يقول لنا : إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب يجدده كي يستمر الألم بلا انقطاع ، ويذوقوا العذاب الأليم ، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ ٢٢٤ .

ومن شدة الهول وقسوة العذاب يورد المجرم أن يفدي نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه . ولكن لا ينفذ فداء ، ولا يقبل رجاء ﴿ يورد المجرم لو يفندي من عذاب يومئذ بينه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي أتوا به . ومن في الأرض جميعا ثم ينجيهم ، كلا ﴾ (المعارج : ١١-١٥) .

نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة: نار الدنيا مهما تأججت واستعرت فهي هينة جدا بالنسبة لنار الآخرة وقانا الله شرهما معا ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ناركم هذه التي توفدون جزءا من سبعين جزءا من حر جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها " رواه البخاري ومسلم والترمذي ٢٢٥ .

أهون الناس عذابا: عذاب جهنم شديد وإن قلت مساحته وصغر حجسه فهو فوق التحمل البشري . فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أهون الناس عذابا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا ، وإنه لأهونهم عذابا " رواه البخاري ومسلم والترمذي ٢٢٦ .

المؤمن لا يخلد في النار: المؤمن بالله وإن عصى فمآله الجنة ولكنه إن وقعت منه المعصية ولم يقع منه ما يكفرها فإنه ينال ما قدر له عليها من العقاب في النار ، ثم يدخل الجنة بعد ذلك . يقول السيد سابق : جاء في السنة الصحيحة أن المؤمن لا يخلد في النار ، فإن كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تكفر بحد . أو توبة نصوح ، أو مصيبة ، أو مرض ، أو شيء من المكفرات ، فهو يخاسب على عمله . والله يوازن بين أعماله الصالحة . وبين جميع معاصيه التي لم يتب منها ، فإن رجحت حسناته فهو في الجنة وكذلك إذا تساوت حسناته وسيناته " ثم يورد هذه الآية ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (الأنبياء : ٤٧) .

وإن رجحت سيناته فإنه يدخل النار فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من إثم ، ثم يخرج منها بعد أن يتطهر . وبعد أن يوفيه الله جزاءه ، بتنضى عدله وحكمته . ثم يورد هذين الحديثين : فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن

٢٢٤ المرجع السابق : ص ٢٩٤ .

٢٢٥ المرجع السابق : ص ٢٩٥ .

٢٢٦ المرجع السابق : ص ٢٩٥ .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ؛ ثم يقول الله تعالى : " أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان " فيخرجون منها قد اسودوا فيلتقون في نهر الحياة ، فينبئون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية " رواه البخاري ومسلم والنسائي . . عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير " رواه البخاري ومسلم والترمذي ٢٢٧ .

الشفاعة للعاصي : وبعد انتهاء مدة العذاب للعاصي يشفع له الرسول - بإذن من الله سبحانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبى دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة " رواه البخاري وزاد مسلم " فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً " ، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين " رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه " ٢٢٨ .

٢٩ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الله أعد ناراً أعظم من نار الدنيا بكثير ليعذب بها الكافرين والمعصاة الذين لم يغفر الله لهم ذنوبهم . وضرورة أن يتضمن المحتوى النصوص الموضحة لذلك حتى يحول ذلك بينهم وبين المعصية .

### الجنة ٢٢٩ :

الجنة في الأصل : البستان من النخل أو الشجر .

وهي مأخوذة من جن إذ ستر ، وسميت بذلك لأن نخيلها الباسقة وأشجارها المورقة تانسف أغصانها بعضها ببعض فتكون كالظلة تستر ما تحتها .

المقصود بها : المقصود بالجنة هنا الدار التي أعدها الله للمتقين جزاء لهم على إيمانهم الصادق . وعملهم الصالح .

من أسمائها الواردة في القرآن الكريم : وقد أطلق عليها القرآن عدة أسماء فهي : جنة المأوى ، وجنة عدن ودار

الخلود ، والفردوس ، ودار السلام ، ودار المقامة ، وجنات النعيم ، والمقام الأمين .

عرضها : جاء في القرآن الكريم أن عرضها السموات والأرض . وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم

سئل عن مكان النار إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض ؟ فأجاب بقوله صلى الله عليه وسلم : " سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار " .

الترجيه في ذلك : قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين

﴿ ( آل عمران : ١٢٣ ) .

١١٧ المرجع السابق : ص ٢٩٦ .

١١٨ المرجع السابق : ص ٢٩٧ .

١١٩ انظر : السيد سابق : المرجع السابق . ص ٣٠٠ وما بعدها .

أهلها : والجنة لا يدخلها إلا من قام بجلال الاعمال واتصف بكرام الصفات .  
ومن الترجيح قوله سبحانه : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ ( التوبة : ١١١-١١٢ ) .

نعيمها : وصف الله الجنة بأن نعيمها دائم وسرورها لا ينغذ وكل ما فيها يغير حساب ، فأنهاها كثيرة ثرة :  
ففيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهذه الأنهار تجري من تحت القصور ، وفيها الفواكه ، ولحم الطيور ، وكلما رزق أهلها من ثمر رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها ، مماثل بعضه بعضا في الحسن والجودة .

ومن الترجيح القرآني في ذلك : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها وهم فيها خالدون ﴾ ( البقرة : ٢٥ ) .

وإن الرزق الذي يقدم لهم من الطعام والشراب يطوف به خدم من ولدان ، إذا رأيتهم حسبتهم لفرط جمالهم لؤلؤا منثورا ، وهؤلاء الولدان يحملون صحافا وآواني من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهي الأنس وتلذ الأعين ، ولباسهم فيها حرير من سندس وإستبرق وحليتهم الذهب ، ومسكنهم طيبة ، وهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وأصحاب الجنة هم أزواجهم في ظلال على الأرائك يتكئون ، وهؤلاء الزوجات يشتهن الله إنشاء عربا أتوا كما ينشئ معهم الحور العين ، كأنهن بيض مكنون وهن مطهرات من عيوب نساء الدنيا فلا دمامة خلق ولا سوء خلق بل ولا حيض ولا نفاس ، وأهل الجنة أزال الله من صدورهم الغل إخوانا على سرر متقابلين لا يحسبهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين .

والجنة لا يسمع فيها اللغز ، ولا التأثيم وإنما يسمع فيها تقديس الله وإجلاله وسلام الله على المؤمنين وسلام بعضهم على بعض .

ومن الترجيح : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعيم عقبى الدار ﴾ ( الرعد : ٢٤ ) ، وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري والتزمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخضون . أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك . ومجامرهم الأكلوة - العود - أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعا في السماء ، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه : " ألا مشسر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد . وفاكهة كثيرة نصيحة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام أبدا في حيرة - النعمة وسعة العيش - ونصرة . في دار عالية سليمة بهية "

قالوا : نحن المشمرون لما يا رسول الله ؛ قال : قولوا : إن شاء الله . ثم ذكر الجهاد وحض عليه " رواه ابن ماجه .  
نعيم الجنة فوق ما يتصور العقل : وهذا النعيم المذكور جاء على مثال ما هو معروف في هذا العالم الأرضي وإن  
كان أرقى منه نوعا وشكلا وطعما ، وحقيقة فوق ما يتصوره البشر .

التوجيه القرآني والنبوي : قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله سبحانه : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مَثَابَهَا ﴾  
وهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴿ ( البقرة : ٢٥ ) ، لا يشبه شيء مما في الجنة في الدنيا إلا في  
الأسماء . . وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : " أعددت  
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : اقرءوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم  
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ " ( السجدة : ١٧ ) .

أعلى نعيم الجنة : وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله عز وجل ومناجاته والفوز برضاه .  
من التوجيه في ذلك : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ( القيامة : ٢٢-٢٣ ) . ﴿ إن أصحاب الجنة  
اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ، هم فيها فاكهة وهم ما يدعون ، سلام قولا  
من رب رحيم ﴾ ( يس : ٥٥-٥٨ ) . ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ ( التوبة : ٧٢ ) . ﴿ للذين اتقوا عند ربهم  
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ ( آل عمران :  
١٥ ) .

وعن صهيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى :  
تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب -  
أي عن أهل الجنة - فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم . ثم تلا ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة  
﴿ ، والحسنى الجنة ، والزيادة هي الرؤية ، والحديث رواه مسلم وغيره ٢٣٠ .

الخلود : والجنة خالدة لا تفتى ، وكذلك النار ، أهل كل منهما مخلدون ، لا يدركهم الموت ولا يلحقهم  
الفناء ، ومن التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار هم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت  
السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت  
السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ . ( هود : ١٠٦ - ١٠٨ ) .

وهذا الخلود له ما يبرره ، فالأعمال بالنيات : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " . . والمؤمنون  
والكافرون كان كل من الفريقين مصرا على ما هو عليه ، فأهل الجنة كانوا مريدين بالإيمان والطاعة مهما طالت بهم  
الحياة وامتد بهم العمر ، وأهل النار كانوا مصرين على الكفر ، والعصيان ولو عاشوا طويلا . فكان الجزاء للفريقين  
على الإرادة والنية ، والقرآن يوضح هذا بالنسبة لأهل النار فيقول : ﴿ ولو ترى إذ وُقيفوا على النار فقالوا يا ليتنا  
نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدأهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه  
وإنهم لكاذبون ﴾ ( الأنعام : ٢٧-٢٨ ) .

٣٠ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يتعرف التلاميذ على الجنة وأوصافها ، وضرورة أن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يعرف منه التلاميذ أوصاف الجنة ونعيمها والأعمال التي تكون سببا في دخولها ، لعل الله يوفقهم إليها .

#### معايير الفصل الخامس :

معايير تدور حول طبيعة الحياة الدنيا في التصور الإسلامي ، ومعايير تدور حول النصوص المتعلقة بالحياة

#### الآخرة :

- ١ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها حقيقة الحياة في التصور الإسلامي ، وأنها دنيا وآخرة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٢ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها مكونات المجتمع الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٣ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها طبيعة النظم الاجتماعية الإسلامية التي تحكم المجتمع المسلم على وجه العموم ، وتميزها عن غيرها ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٤ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها موقف الإسلام من التعليم والتعلم في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٥ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أثر العدل في الحياة الاجتماعية ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٦ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام السياسي في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٧ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها حقيقة نظام الأسرة في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٨ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها موجهات القرآن الكريم للنظام الاجتماعي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٩ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أثر الشورى في الإسلام بين الحكام والحكومين ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٠ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها مظاهر الحرية في الإسلام ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١١ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أثر الوحدة بين المسلمين في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

- ١٢ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها كيفية التصرف في أمورها في ضوء الاقتصاد الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٣ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الاقتصادي في التصور الإسلامي ، وموجهات القرآن الكريم له ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٤ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن النشاط الإنساني كله عبادة ما دام يصدر من الإنسان على هدي الشريعة الإسلامية ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٥ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن للجهاد أنواعا متعددة في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٦ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن الثبات على طاعة الله ورسوله يديم نعمه عليهم ، وأن عدم طاعة الله ورسوله سبب يؤدي إلى زوال نعمه . وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٧ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الثقافي في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٨ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الحضاري في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ١٩ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها التربية بمعناها الشامل ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٢٠ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن العلم با الله الواحد الأحد فطرة الله في الإنسان ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٢١ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن الغاية من المعرفة هي تطبيق منهج الله ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٢٢ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن الإسلام يدعو أبناءه إلى البراعة في الفنون والآداب في ضوء التصور الإسلامي للحياة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .
- ٢٣ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها ما يجوز أن يتحقق به الإعلام والإعلان في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٢٤ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن المآل أول درجات الآخرة ، حتى يستعدوا له بصالح العمل ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى النجاة من عذاب القبر وفتنته .

٢٥ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها وجوب الإيمان بالبعث ، والأدلة المرجحة لهذا الإيمان ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى ذلك .

٢٦ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها وجوب الإيمان بالحرش ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى ذلك ، ويدعو إلى النجاة من أهواله .

٢٧ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن عدل الله اقتضى محاسبة الناس على أفعالهم يوم القيامة ليجازى كل بما عمل ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى ذلك ويدعوهم إلى النجاة من أهواله .

٢٨ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها وجوب الإيمان بوجود الصراط يوم القيامة ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح لهم ذلك ويحثهم على العمل بما يجعلهم يعبرونه بسلام إلى الجنة .

٢٩ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها أن الله أعد ناراً أعظم من نار الدنيا بكثير ليعذب بها الكافرين والعصاة الذين لم يغفروا الله لهم ذنوبهم ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح ذلك لهم حتى يتحول بينهم وبين المعصية .

٣٠ - ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها الجنة وأوصافها ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح لهم أوصاف الجنة ونعيمها والأعمال التي تكون سبباً - بعد رحمة الله وفضله - في دخولها ، لعل الله يوفقهم إليها .

### خاتمة :

تحدث الباحث في هذا الفصل عن طبيعة المجتمع المسلم وحاجته ومطالبه ، وكان أول ما بدأ بالحديث عنه : الحياة في التصور الإسلامي وبين أنها دنيا وآخرة . وأرضح أن الحياة الدنيا تشمل : الحياة الاجتماعية ، والحياة الثقافية والمعرفية .

وأن الحياة الاجتماعية تشمل الحديث عن : مكونات المجتمع ، وطبيعة المجتمع الإسلامي ، ومعايير حكم الحياة في المجتمع الإسلامي ، وهذه المعايير هي :

العلم - العدل - الحرية - الشورى - الوحدة - الإحسان في العمل - الجهاد في سبيل الله وأنواعه .

وعني الباحث بالتوجيه القرآني لكل هذه المعايير بالتقدير المناسب . سواء منها :

النظام السياسي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام الاجتماعي ، ثم القرآن والتغير الاجتماعي ، وتحدث عن

الحياة الثقافية والمعرفية بالقدر المناسب متناولا في ذلك المفردات الآتية :

الثقافة والحضارة ، ثم التربية والتعليم ، والعلم والمعرفة ، والفنون والآداب ، والاعلام والإعلان ، ثم طيبة المجتمع المصري.

كما تحدث أخيرا عن الحياة الآخرة بالمفردات الآتية :

الموت - البعث - الحشر - الحساب - الصراط - النار وأهلها \_ ثم الجنة ونعيمها .

واتبع الباحث المنهج السابق - : الحديث عن المفردة بما يتناسب مع وجودها - في الفصل موضوع الحديث -

ثم الترجمة القرآني في ذلك ثم اشتقاقه المعيار المناسب ، وتذييل الحديث عن المفردة به . وأخيرا جمعت كل المعايير الخاصة بهذا الفصل ، ما لم يكن منها ما هو مفهوم من مفردة سابقة أو مدمج مع غيره في موطن لاحق أعم وأشمل ، فيستغنى عنه اكتفاء بما يدل عليه .